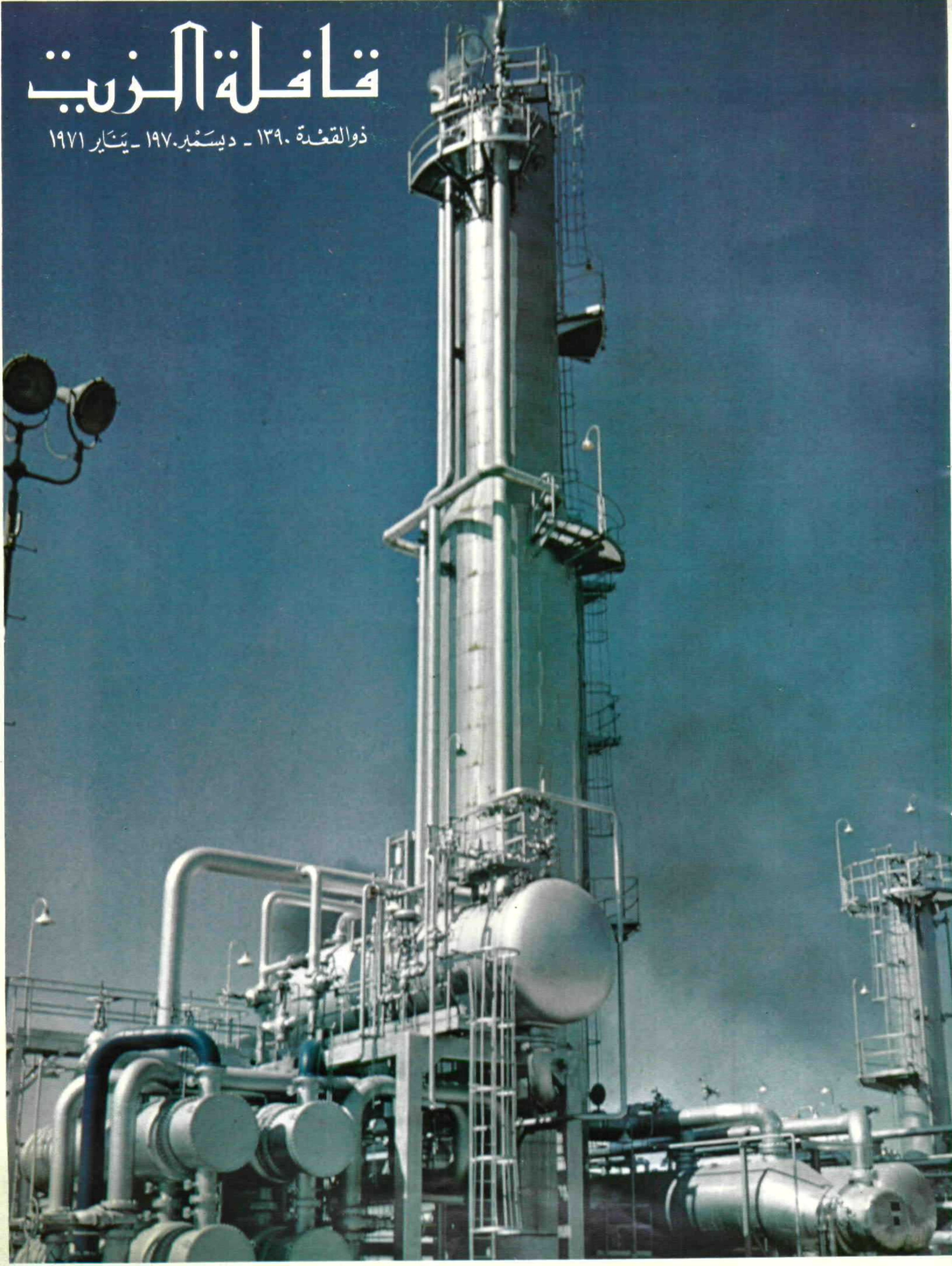


قافلة الزيت

ذوالقعدة ١٣٩٠ - ديسمبر ١٩٧٠ - يناير ١٩٧١

قافلة الزيت

العدد الحادي عشر - المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها

ادارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

آداب

تراجم

علوم

استطلاعات

صورة الغلاف

جانب من معمل «غاز البترول السائل» في رأس تنورة . راجع مقال « الغاز الطبيعي » تصوير : عبد اللطيف يوسف

المدير العام : مصطفى حسن الخان المدير المسؤول : علي حسن قبنا ديلي

رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني ابو كشك

صورة من بناء الدراسات اللغوية عامة والعربية خاصة

بقلم الدكتور هاشم ياغي

من الحقائق المعروفة في أبحاث اللغويين والاجتماعيين المحدثين أن اللغة نشاط اجتماعي . فاذا تنبهنا الى هذا الأمر أدركنا أن هناك أطرافا أربعة ، على الأقل ، تدخل في هذه الصورة من صور اللغة . فهناك اللغة نفسها في طبيعتها ، وهناك الفرد ، وهناك الجماعة والمجتمع ، ثم هناك آخر الأمر ألوان النشاط الاجتماعية الأخرى مما يتشابك مع النشاط اللغوي عند الفرد والجماعة والمجتمع تشابكا مركبا أو تشابكا بسيطا . ولعل ألوان النشاط المختلفة هذه أن تندرج تحت ما نسميه حضارة .

وأحسب أن طبيعة هذه الأطراف الأربعة هي التي تلقي أضواء على صورة البناء العام للدراسات اللغوية ، في القديم والحديث .

لقد عني جماعة من الباحثين في القديم والحديث بطرف اللغة من زوايا مختلفة ، فمنهم من حاول أن يقف عند أصل اللغة وقفات قريبة الآفاق أو بعيدتها .

وكان بين أجدادنا من اللغويين القدماء من عني بأصل اللغة ، فعقد أبو الحسين أحمد ابن فارس مثلا في كتابه « الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها » بابا في « القول على لغة العرب : أتوقيف أم اصطلاح ؟ » ، وعقد كذلك أبو الفتح عثمان بن جني بابا في كتابه « الخصائص » على « أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح ؟ » ، وعقد الأمير أبو محمد عبد الله المعروف بابن سنان الخفاجي في كتابه « سر الفصاحة » ، فصلا في أصل اللغة فعرفها ، وبين أنها مواضعة لا توقيف .

أما عبد الرحمن جلال الدين السيوطي فقد عقد بحثا مطولا حول اللغة وأصلها في كتابه « المزهر » .

واذا كان القدماء من أجدادنا قد اهتموا ببحث أصل اللغة ، فقد كان من الطبيعي أن يعنى الباحثون المحدثون بنشأة اللغة كذلك . غير أن بعض المحدثين من الباحثين اللغويين قد انتبهوا الى أن هذه المسألة — أي مسألة أصل اللغة ونشأتها — ليست من مسائل علم اللغة ، وأنكروا المضي وراء ميتافيزيقية اللغة ونشأتها ، ورأوا أنها في نطاق علم التاريخ البدائي للبشرية أدخل .(١)

وقد قامت أبحاث لغوية أخرى حول حياة اللغة . ويرى « جسبرسن » أن ذلك كان في بعض نواحيه تأثرا بآراء التطور (٢) ، ولفت الى وجوب الحذر من الانزلاق في اطلاق صفات الحياة العضوية ، والكائن الحي العضوي على اللغة . فاللغة ليست كائنا عضويا حيا كأي من هذه

---

١) ج. فيندريس « اللغة » ، تعريب الدواخلي والقصص .

٢) « Otto Jespersen; Language, Its Nature, Development and Origin". »

الحيوانات أو النباتات . ولكنه بالوقت نفسه أكد أن ما يميّز الدراسات اللغوية الحديثة هو أخذها بالجانب التاريخي الذي ينظر الى تقدم اللغة نظرة متحركة متطورة غير ثابتة . وهذا ولا ريب ، يخالف فكرة اضفاء الحياة البيولوجية من ولادة ، ونماء ، وموت ، وعضوية على اللغة .

ويرى جسبرسن أنه اذا كان لا بد من اضفاء الصفات البيولوجية والبيوغرافية في تناول اللغة فانما تضفي هذه على الفرد الذي يقوم بالنشاط اللغوي (٣)

وقد عني القدماء والمحدثون كذلك بفرع آخر من فروع الدراسات اللغوية ، هو فرع الأصوات التي تتألف منها الألفاظ .

فقد عني الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بدراسة الأصوات ، والجهاز الصوتي ، وان كانت هذه العناية لم تبلغ في عمقها عناية المحدثين الغربيين في هذا الفرع . وأشار الخليل بن أحمد كذلك الى « ذوق الحروف » لبيان حقيقة المخارج الصوتية . (٤) وكان كما نعرف ذوّاقة للجانب الصوتي في اللغة . وترتيبه قاموسه « العين » يشعر بذلك ، وكذلك شكله المشبع من الحركات في القرآن (٥) بالفتحة والضمة والكسرة يوحي بذلك .

أما ما جاءنا في كتاب « سر صناعة الاعراب » لابن جني ، من دراسات صوتية ، فهو من أبرز ما وصل الينا من تراث أجدادنا الأولين في هذا الفرع من الدراسات اللغوية . وكانت هذه الدراسات الصوتية اللغوية ذات آثار في مختلف فروع الثقافة العربية .

وقد اهتم الدارسون المحدثون الغربيون ، كما أشرنا ، اهتماما لافتا بهذا الفرع من الدراسات اللغوية ، حتى انه أصبح لهم معاهد خاصة به ، وحتى ان بعض ما وصلوا اليه من نتائج في هذا الشأن قد فاق ما وصل اليه الأقدمون . (٦)

واذا كانت نشأة اللغة ، وحياة اللغة ، والأصوات التي تتألف منها الألفاظ قد لقيت عناية متفاوتة الدرجة لدى القدماء والمحدثين ، فان فروعا أخرى من اللغة قد نالت عناية الباحثين كذلك . ولعل من أبرز هذه الفروع الأخرى فرع الدلالات . (٧) فهو متسع الأبحاث عند المحدثين ، حيث يشمل عندهم البحث في المفردات ، ثم البحث في علم البنية (Morphology) . ولهم دراسات متنوعة في علم البنية ، منها الدراسات التعليمية ، والدراسات التاريخية ، والدراسات المقارنة . والى جانب البحث في المفردات وعلم البنية بحث المحدثون فرع النظم أو التنظيم في الكلام ووظائف الألفاظ ، والتراكيب وعلاقات اجزاء الكلام (Syntax) . ولهم دراسات متنوعة أيضا في هذا الفرع منها الدراسات التعليمية ، والتاريخية ، والمقارنة .

ويذهب الباحثون المحدثون في اللغة الى أن دراسة البنية والتنظيم في الكلام من الناحية التعليمية هي دراسة الصرف والنحو على وجه يشابه دراسة الصرف والنحو العربيين . وهم يرون أن دراسات الصرف والنحو العربيين بعيدة عن أبحاث علم اللغة الحديث . (٨) مع أن المرء لا يستطيع أن ينكر مدى جدواهما في اعانة الأبحاث اللغوية الأخرى .

وهناك فرع رابع من فروع الدلالات يتناوله الباحثون وهو دراسة الأساليب من زوايا تعليمية وتاريخية ومقارنة . أما زاويته التعليمية فتشمل ما يشبه دراسة البلاغة العربية . وقد قيل في دراسة البلاغة العربية وبعدها عن مفهوم علم اللغة الحديث ما قيل في كل من الصرف والنحو العربيين .

والى جانب هذه الفروع السابقة المختلفة في دراسة اللغة عني الباحثون بما قد يسمى بعلم الاشتقاق أو ارجاع المادة اللغوية الى أصولها القديمة أو جذورها ، وهو ما يطلقون عليه (الايتمولوجيا اللغوية — Etymology) . (٩)

واذا كانت هذه الفروع السابقة هي أشهر الفروع التي قامت حول الطرف الأول من الأطراف السابقة الأربعة التي أشرنا اليها في مطلع صورة الدراسات اللغوية ، وهو طرف اللغة ، فان طرف الفرد قد نال من الأبحاث اللغوية جانبا واضحا كذلك بين دراسات اللغويين . (١٠)

وأما طرف الجماعة والمجتمع فقد نال كذلك اهتماما جليا حتى ان الأبحاث الحديثة التي تتناول اللغة من الجوانب الاجتماعية تكاد تغلب على دراسات المحدثين وتميزها من دراسات القدماء التي كادت أن تغلب الطرف الأول ، وهو طرف طبيعة اللغة في التناول .

أما الحضارة وآثارها المتشابكة في اللغة وتفاعلهما معا فقد عني به المحدثون كذلك ، ومن ثم وجدنا صلة متعددة الجوانب بين اللغة ومختلف العلوم ، وألوان النشاط الانساني . فالجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع كما أشرنا وعلم الطبيعة والفلسفة وعلم التاريخ ونظريات تفسيره كل أولئك تناولت اللغة من زواياها التي تتصل بكل من هذه الألوان المختلفة من نشاط الانسان الحضاري ■

---

٣) المصدر السابق محمد المبارك : « فقه اللغة » ٤) أبو الفتح عثمان بن جني النحوي : « سر صناعة الاعراب » . ٥) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني : « المحكم في نقط المصاحف » . تحقيق الدكتور عزة حسن . ٦) محمد المبارك « فقه اللغة » الدكتور علي عبد الواحد وافي : « علم اللغة ، الدكتور تمام حسان : « مناهج البحث في اللغة » . ج. فندريس : « اللغة حول الأصوات » .

٧) الدكتور ابراهيم أنيس : « دلالة الألفاظ » . ٨) الدكتور علي عبد الواحد وافي : « علم اللغة » ، « أبحاث علم اللغة » . محمد المبارك : « فقه اللغة » ٩) محمد المبارك : « فقه اللغة » الدكتور علي عبد الواحد وافي : « علم اللغة » ، « أبحاث علم اللغة » ، أوتو جسبرسن : كتابه السابق . ١٠) أوتو جسبرسن : اللغة بين الفرد والمجتمع » ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن محمد أيوب .

نجد على ألسنة الشعراء

بقلم الاستاذ فؤاد شاكر

«نجد» اسم تداولته ألسنة الرواة والمحدثين والأدباء منذ القدم ، وتغنى به الشعراء في مناسبات عديدة ، حتى قال ياقوت الحموي عنه : «لم يذكر الشعراء موضعا أكثر مما ذكروا نجدا» . وانني ، على سعة ما قرأت وما وعيت عن ذكر «نجد» في بطون الكتب والمخطوطات ، لا أستطيع الاحاطة في كلمة أو مقال بكل ما قيل في هذا الموضوع ، وحسبي بهذه الالمامة القصيرة أن أستعرض ذكريات هذه الأرض الطيبة ، وأن أطوف ببعض ما ذكر وقيل عنها .

وأشهر ما قيل في «نجد» تلك الأبيات القصيرة التي حيا بها الشاعر يزيد بن الطثرية «صبا نجد» ، حين عرض له ريح عبق من أرض نجد ، فقال :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟
فقد زادني مرآك وجدا على وجد
متى هتفت ورقاء في رونق الضحى
على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد صبابة
وذبت من الحزن المبرح ، والجهد
وقد زعموا أن المحب اذا دنا
يمل ، وأن النأي يشفي من البعد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ود

واندفع الشعراء في التغني بنجد بأساليب شتى من أفانين التطريب والترنم تلهب أخيلتهم وتثير عاطفتهم ووجدهم ، حنينا الى البلد الذي أنبت الشيح والقيصوم وأنبع فيه البان والرند ، بخفقات ترجمتها العواطف الى شعر عذب رقيق .

أما صدق العاطفة نحو «نجد» كوطن فقد تجلى في القصة التالية :

قال عبد الله ابن اسحق الجعفري ، وقد كانت زوجته نجدية تقيم معه بالعراق : أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل ، أن يملأ . فذهبت بأم حسانة المريّة ، وابنتها ، وهي زوجتي ، فلما نظرت أم حسانة الى الصهريج قعدت عليه ، وأرسلت رجليها في الماء ، فقلت لها : ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره ؟ فقالت : ههنا أعجب الي وأحب ! قال : فدرنا ساعة ثم عدنا ، واذا بها تخضخض رجليها في الماء ، وتحرك شفيتها ، فقلت : يا أم حسانه ، لا أحسبك الا قلت شعرا ! فقالت : أجل ، ثم أخذت تنشد :

أقول لادنى صاحبي أسره
وللعين دمع ، يحدر الدر ساكبه
لعمري ، لنهي باللوى ، نازح القذى
نقي النواحي ، غير طرق مشاربه(1)
أحب الينا من صهاريج ملئت
للعب ، فلم تحلو لدي ، مشاربه
فيا حبذا نجد ، وطيب ترابه
اذا هضبته بالعشي ، هواضبه(2)
وريح صبا نجد اذا ما تنسمت
ضحى ، أو سرت جنح الظلام جنائبه

ولا أدري وليتني أدري – كيف قادتني المصادفة السعيدة الى العثور على ذكر نجد مقترنا بذكر الحجاز في كثير من المناسبات ، وهذا بعضها :

قال اعرابي من بني عقيل :

أكرر طرفي نحو «نجد» وانني
اليه وان لم يدرك الطرف أنظر
حنينا الى أرض كأن ترابها
اذا أمطرت ، عود ، ومسك ، وعنبر
بلاد كأن الأقحوان بروضه
ونور الأقاحي ، وشي برد ، محبر
أحن الى أرض «الحجاز» وحاجتي
خيام «بنجد» دونها الطرف يقصر !
وما نظري نحو «الحجاز» بنافعي
بشيء ولكني على ذاك ، أنظر
أفي كل يوم نظرة ، ثم عبرة
لعينيك يجري ماؤها ، يتحدر
متى يستريح القلب اما مجاور
حزين ، واما نازح يتذكر

ويشترك أبو الطيب المتنبي في ذكر نجد والحجاز ، حين يتحدث عن سيفه ، فيقول :

سله الركب بعد وهن بنجد
فتصدى للغيث ، أهل الحجاز

ويقول أيضا :

نحن أورى ، وقد سألنا بنجد
أطويل طريقنا ، أم يطول
وكثير من السؤال اشتياق
وكثير من رده ، تعليل

وقال الشاعر السهروردي في وصف نجد :

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه
حديث نجد ، ولا خل نباريه

ورحم الله الدكتور زكي مبارك وهو يتحدث في كتابه «مدامع العشاق» عن نجد ، وصبا نجد ، فيقول : «وما أشوق القلب الى شميم صبا نجد ، فقد حببته الينا الشعراء حتى لنجد الشاعر القديم

١) الغدير أو ما شابهه
٢) هضبت السماء أمطرت مطرا شديدا

المعروف بلقب « حتَّردر » يرى المرور بنجد شركا من أشراك الهوى حين يقول :

النجاء ، النجاء من أرض نجد
قبل أن يعلق الفؤاد ، بوجد
ان ذاك الثرى لينبت شوقا
في حشا ميت اللبانات ، صلد
كم خلي غدا اليه وأمسى
وهو يهذي بعلوة ، أو بهند
وظباء فيه تلاقي الموالي
والمعادي من الجمال ، بجند
بشتيت من المباسم يغري
وسقام من المباسم يعدي
وبنان لولا اللطافة ظنت
لجناياتها ، براثن أسد

كما يقول الطغرائي :

يا حبذا نجد واعراق الثرى
لدْن ، وأنفاس النسيم رقاق
فهواؤه خضر النسيم ، وتربه
حالي الأديم ، وماؤه رقراق
وبساكنيه ، ان استقربنا النوى
تشفى النفوس ، وتمسك الأرماق

ويقول الشاعر المعروف « ابن الخياط » :

خذا من « صبا نجد » أمانا لقلبه
فقد كاد رياها ، يطير بلبه
واياكما ذاك النسيم ، فانه
اذا هب ، كان الوجد أيسر خطبه
خليلي لو أحببتما لعلمتما
مكان الهوى ، من مغرم القلب صبه
تذكر ، والذكرى تشوق وذو الهوى
يتوق ، ومن يعلق به الحب ، يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه
وشوق على بعد المزار وقربه

وقال ابن التعاويذي :

يا رفيقي هل لذاهب أيام
تقضت حميدة من مرد
أنجداني بوقفة من مغاني الحي
ان جزتما ، باعلام نجد
وابكياها بمقلتي وأسألاها
من سقاها ماء المدامع ، بعدي

وقال شاعر آخر :

رأيت بروقا داعيات الى الهوى
فبشرت نفسي أن نجدا ، أشيمها
اذا ذكر الأوطان عندي ذكرته
وبشرت نفسي أن نجدا أقيمها
الا حبذا نجد ، ومجرى جنوبه
اذا طاب من برد العشي ، نسيمها

وقال الشاعر الأموي :

أقول لسعد وهو خلي بطانة
وأي عظيم لم أنبه له سعدا
اذا نكبت نجدا مطاياك لم أبل
بعيش وان صادفته خضلا رغدا
تلبث قليلا يرم طرفي بنظرة
الى ربوات تنبت الكلأ الجعدا
فانك ان أعرقت والقلب منجد
ندمت ولم تشمم عرارا ولا رندا
ولم ترد الماء الذي زادك النوى
وقد ذقت ماء الرافدين به وجدا
أترمي بنا أرض الأعاجم ضلة
فتزداد عمن تشتهي قربه بعدا
وها أنا أخشى والحوادث جمة
اذا زرتها أن لا ترى بعدها نجدا

وقال آخر في ربى نجد :

وسرحة بربى نجد مهدلة
أغصانها في غدير ظل يرويها
اذا الصبا نسمت والمزن صيبها
مشى النسيم على أين يناجيها
تقيل في ظلها بيضاء آنسة
تكاد ينشرها لينا ويطويها
سود ذوائبها بيض ترائبها
حمر مجاسدها صفر تراقيها
عارضتها فاتقت طرفي بجارتها
كالشمس عارضها غيم يواريها

وقال شاعر آخر بمنشط الشيح :

بمنشط الشيح من نجد لنا وطن
لم تجر ذكراه الا حن مغترب
اذا رأى الأفق بالظلماء مختمرا
أمسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقة من عرار هز لمته
رويحة في سراها مسها لغب
تشفي غليلا بصدري لا يزحزحه
دمع تهيب بالأشواق منسكب
والنار بالماء تطفى والهموم لها
في القلب نار بماء الدمع تلتهب

ويقول مهيار الديلمي الشاعر ، في أبيات تردد صدى ألمه وحزنه ، وتحمل صبابته الى جو الفجيعة والأنين :

تحرش بأحقاف اللوى عمر ساعة
ولولا مكان الريب ، قلت لك ، ازدد
وقل صاحب لي ، ضل بالرمل قلبه
لعلك ان يلقاك هاد ، فتهتدي
وسلم على ماء ، به برد غلتي
وظل أراك ، كان للوصل موعدي
وقل لحمام البانتين ، مهنئا
تغن خليا من غرامي وغرد
أعندكو يا قاتلين بقية
على مهجة ان لم تمت ، فكأن ، قد
ويا أهل نجد كيف بالغور بعدكم
بقاء تهامي ، يهيم بمنجد

وفي حديث « الصمة عبد الله » حين خطب ابنة عمه ، وكان محبا لها ورد عنها ، ما أثار شاعريته



بابيات هي ذوب عاطفته المهدورة ، فقد اشتط عليه عمه في المهر ، فاستعان بأبيه ، وكان مثريا ، فلم يعنه ، فأم عشيرته ، فأسعفوه ، ثم ساق الابل – المهر – الى عمه ، فقال له : لا أقبل هذه مهر ابنتي ، فسل أباك أن يبدلها ، فسأل أباه ذلك فأبى عليه ، فلما رأى ضن أبيه ، واباء عمه ، قطع عقلها وخلاها ، فعاد كل بعير الى أهله ، ويروى ان أباه أعطاه تسعة وتسعين بعيرا فأبى عمه الا مائة ، وحلف أبوه أن لا يكملها ، فقال « الصمة عبد الله » ، والله ما رأيت الأم منكما جميعا ان أقمت بينكما ، ثم رحل الى الشام ، فقالت ابنة عمه : تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته ببعير ! وقد قال الصمة في الحنين الى « نجد » وفي توديعها أبيات ، منها :

أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت
بها عاصفات الصيف بدءا ورجعا ؟
حننت الى ريا ، ونفسك باعدت
مزارك من ريا ، وشعباكما ، معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعا
وتجزع ان داعي الصبابة ، أجزعا
الا يا خليلي اللذين تواصيا
بلومي ، الا أن أطيع ، واتبعا
قفا انه ، لا بد من رجع نظرة
يمانية ، شتى بها القوم ، أو معا
قفا ودعا « نجدا » ومن حل بالحمى
وقل لنجد عندنا ، أن يودعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى
وما أجمل المصطاف ، والمتربعا
وليست عشيات الحمى برواجع
اليك ولكن خل عينيك تدمعا

* * *

فاذا انتقلنا من هذا الاستطراد عن ذكر « نجد » في الشعر القديم ، فاننا نجد في الشعر المعاصر ذكرا لنجد لا يقل عما لهذه الكلمة ، أو لهذا المكان من وقع جميل وعاطفة شاعرية في نفوس الشعراء المعاصرين. ان الشاعر الراحل حافظ ابراهيم لم ينس ، وهو يبايع أحمد شوقي رحمه الله بامارة الشعر ، أن يذكره بنجد ومكانتها في هذا المجال ، فيقول له في قصيدته المشهورة التي ألقاها في مهرجان تكريمه منذ أربعين سنة ونيف :

أمير القوافي ، قد أتيت مبايعا
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
فغن ربوع النيل واعطف بنظرة
على ساكني النهرين ، واصدح وابدع
ولا تنس « نجدا » انها منبت الهوى
ومرعى المها ، من سانحات ورتع
ففي الشعر حث الطامحين الى العلا
وفي الشعر زهد الناسك المتورع

وأذكر أيضا قول أحد الشعراء المعاصرين ، ممن شهدوا نجدا وعرفوها ، في قصيدة جاء فيها :

أجل هذه نجد ، فسائل ربى نجد
عن العرب الأمجاد من سالف العهد
عن الدين والأخلاق والعزم والحجى
عن الشعر والتاريخ والعز والمجد
عن الخيل والأصباح والسيف والقنا
عن الرأي والاقدام والحزم والجد
عن الليل والبيداء والظعن والنوى
عن الدجن والصحراء والغيث والرعد
بلاد هي التاريخ أبيض ناصع
زها مجدها كالحسن في صفحة الخد
فقل للصبا اذ هب نفح عبيرها
(ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد)
أجل هذه نجد ، وهذي رياضها
وتلك أفاويح من البان والرند
أجل هذه نجد ، وهذا أقاحها
تفتح عن نور وأشرق عن ند
فمن (روضة الخفس) التي فاح عطرها
الى (روضة التنهات) في الغور والوهد
تطاول فيه العشب حتى كأنه
سنابل أكمام تفتحن عن ورد
زها نوره في مطلع الفجر مشرقا
مع الشمس كالمحجوب يبسم عن ورد
بدا أصفراً في أبيض ، فكأنه
سماوة قرص الشمس قد لف في برد
وفاح شذاه بالأريج كأنه
عبير سرى رياه من جنة الخلد
سقاه ولي الغيث صيب مائه
كأن قد سقاه الورد في صورة الورد
تروح اليه الطير وهي أوانس
تباكره بالشوق بدءا على عود
فتشتار من أزهاره الشهد سائغا
كما اشتار من أزهاره النحل للشهد
تناوحه ريح الصبا فتهزه
فيختال اذ يهتز في الروض من بعد
تصافحه شمس الأصيل تحية
كما صافحته الشمس من قبل في رأد

ويقول الشاعر من قصيدة أخرى له عن « نجد » ، هذا مطلعها :

سائلو « نجدا » ومن في أرض نجد
من بنى التاريخ في عز ، ومجد
وانشقوا منها عبيرا ، عاطرا
من أفاويح ، ونسرين ، ورند
صافحوا فيها الصبا ، مختالة
تتهادى بين ريحان وورد
للمها فيها مغان ترتعي
بين غور من بواديها ، ووهد
ولأسد الغاب آجام بها
أسد في الغاب ، أو أشبال أسد
وهي للأيمان حصن شامخ
وهي في توحيدها ، أعلام بند
معقل للدين ما فيها سوى
قادة في طاعة الله ، وجند■

الغدة الدرقية وأمراضها

بقلم الدكتور يونس شناعة

في عنق كل انسان مضغة من نسيج حيوي بالغ الأهمية ، تسمى الغدة الدرقية ، وتوجد على وجه التحديد في أعلى النحر ودون نتوء الحنجرة « تفاحة آدم » على جانبي القصبة الهوائية . وتتخذ هذه الغدة شكل الفراشة أو الدرقة (الترس) ، ومن هنا جاءت تسميتها بالدرقية ، وهي ترجمة تقريبية للأصل اليوناني « Thyroid » ومعناه « شبيه الدرع » .

والغدة الدرقية غدة صماء ، أي انها تفرز محتوياتها في عروق الدم مباشرة ، اذ لا قناة لها . ونحن لا نحس بوجودها في الحالات الصحية ، اذا لم تتورم أو تلتهب ، ذلك لأنها صغيرة الحجم بحيث تنغمس في أنسجة العنق ولا تبدو للعيان . ويتراوح وزنها في البالغين بين ١٥ و ٣٥ غراما ، وهي أثقل من ذلك في حالات المرض وأثناء الحمل . وتستمد غذاءها من عروق الدم المنتشرة في العنق .

أما من حيث المنشأ فالغدة الدرقية ، من وجهة جنينية ، انفتاق ينشأ في منتهى البلعوم ، ثم لا يلبث أن ينفصل انفصالا تاما عن مجرى الجهاز الهضمي ، ويتحور نسيجه ، وتتطور خلاياه .

وأما من ناحية تشريحية فالغدة الدرقية مكونة من فلقتين رئيسيتين تقعان على جانبي القصبة الهوائية ، ويصل بين الفلقتين برزخ من نسيج الغدة ، ذو شكل مستعرض عبر القصبة .

أثر الغدة في الجسم

تفرز هذه الغدة هورمونا ينساب في الدم فتمتصه الأنسجة ، ليشارك في تفاعلاتها الكيماوية بشكل يزيد من استهلاك الخلايا للأكسجين ، مما يرفع منسوب الطاقة الحرارية في الجسم . وفي حال غياب هذه المادة أو نقصها تنخفض فعاليات الجسم الحيوية انخفاضا يتناسب تناسبا طرديا مع نسبة ما يتوفر من هذه المادة في الدم . ويسمى هذا الهرمون « ثيروكسين — Thyroxin » ، ويتجمع في أكياس الغدة متحدا ببروتين خاص ، هو « الجلوبين — Globin » ، وهو البروتين الذي يدخل أيضا في تركيب خضاب الدم . ويتركب هذا الهورمون من أحد الأحماض الأمينية المسمى « تايروسين — Tyrosin » ومادة اليود . ومن هنا يتضح لنا أن نمو الجسم في مراحل الطفولة والمراهقة يعتمد كثيرا على هذه الغدة ووظائفها .

دورة اليود في الدم

ان تكوين هورمون الغدة الدرقية من أعسر التفاعلات الكيماوية وأكثرها تعقيدا ، ويعتمد ذلك على توفر اليود في الدم ، أكثر مما يعتمد على حامض « التايروسين » ، نظرا لتوفر الأخير فيما يتناوله الجسم من الأغذية البروتينية اليومية .

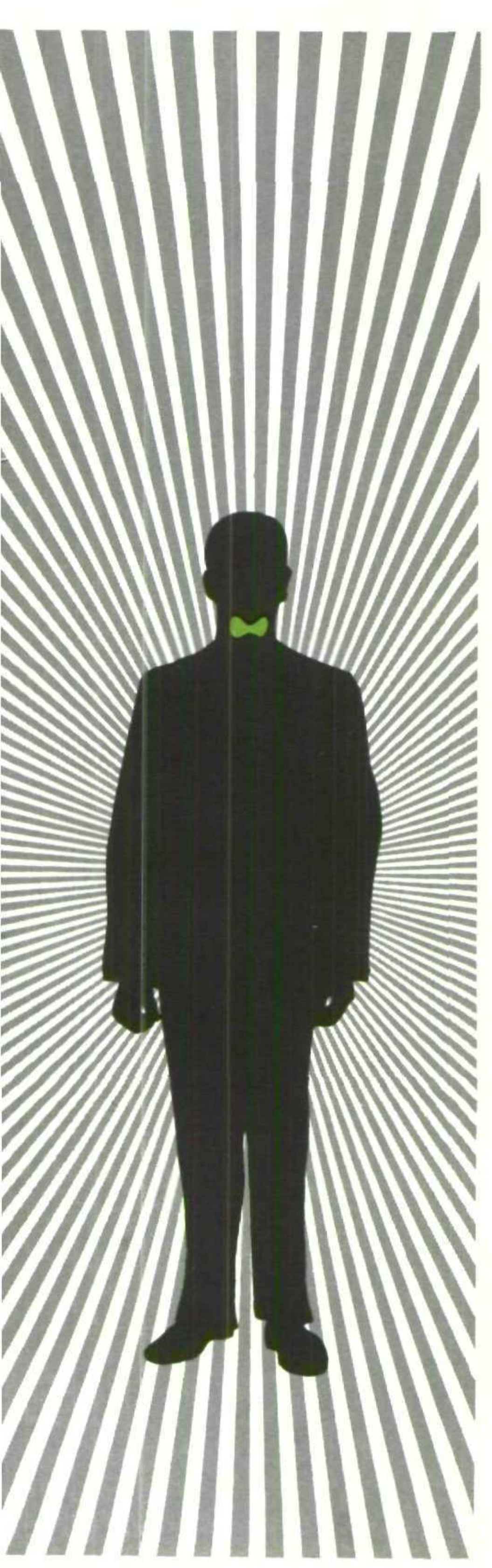
بعد تناول مادة اليود في الغذاء اليومي يتم امتصاصها في الأمعاء الدقيقة ، فتنساب في الدم الذي يوزعها على جميع أنحاء الجسم . ونظرا لسرعة امتصاص الغدة الدرقية لهذه المادة فانها تحصل على كية ضخمة جدا من اليود بالمقارنة لحجمها . وهذا اليود يتحول أولا بأول من حالة الاختزال الى حالة التأكسد ، ثم تتحد احدى ذراته المؤكسدة بحامض « التيروسين » ، ثم تتحد ذرة أخرى مؤكسدة منه بالمركب الجديد الذي يشتمل على ذرتي يود ، وتسمى هذه العملية الكيماوية بـ « الازدواج — Coupling » . وبعد ذلك تتحد المركبات أحادية اليود مع المركبات ثنائية اليود ، أو تتحد المركبات ثنائية اليود مع أمثالها ، فينتج عن ذلك مركبات ثلاثية اليود ، وتسمى بـ «الثيرونين ثلاثي اليود» ، ومركبات رباعية اليود ، وتسمى بـ « الثيروكسين » وهي الهورمون الأساسي للغدة الدرقية .

وتبقى هذه المركبات مخزونة في أكياس الغدة متحدة بمادة « الجلوبين » آنفة الذكر ، ثم تنفصل عنه وعن الغدة ، وتنتشر في الدم محمولة على بروتينات خاصة ، فتمتصها الأنسجة من الدم . وبعد أن تؤدي هذه المركبات دورها في الجسم ، تنحل الى عواملها الأولية ، وتنصب في الدم ثانية . فأما اليود فينطلق في الدم ليعيد سيرته الأولى . وأما بقية المواد الأخرى فتفرز الكبد بعضها في الأمعاء ، لتخرج مع البراز .

والجدير بالذكر أن هذه التحولات الكيماوية تتم خلال مراحل في غاية التعقيد ، ويصعب أن تتم لولا توفر « الأنزيمات — Enzymes » والمواد الأخرى الخاصة ، كالهورمون المنشط للغدة . غير أنه من الممكن تعطيل أية مرحلة من هذه المراحل بحقن الدم باحدى المواد المعروفة اليوم لهذا الغرض .

وللهورمون المنشط للغدة الدرقية ، والذي تفرزه « الغدة النخامية — Pituitary » في الدماغ ، وهي سيدة الغدد عموما ، دور مهم في تحقيق معظم المراحل الكيماوية السالفة الذكر ، اذ أن هناك ارتباطا وثيقا بين نسبة اليود أو هورمون الغدة الدرقية ، ومقدار ما تفرزه الغدة النخامية ، فاذا ما ارتفعت نسبتهما قل افراز الغدة النخامية ، والعكس بالعكس . وهذا ما يسمى بالمحور ما بين الغدة النخامية وكل من الغدد الصماء في الجسم ، وبه يتم تنظيم منسوب كل هورمون على حدة .

ومن ناحية أخرى فانه من الممكن معرفة كية هورمون الغدة الدرقية في الدم ، وذلك بتعيين كية



اليود المتحد بالبروتين في وحدة معينة من الدم . وتتراوح هذه النسبة بين ٣,٥ و ٨ ميكروغرام في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم . فان قلت عن ذلك دل هذا على قصور الغدة ، وان زاد عليه دل على زيادة في نشاطها . مع الأخذ بعين الاعتبار عند الفحص امكان تسرب اليود الى دم المريض عن طريق علاج ما أو فحص بالأشعة .

أمراض الغدة الدرقية

تنحصر أمراض هذه الغدة في أربع حالات تنعكس في زيادة نشاطها ، وقصورها ، وأورامها ، والتهاباتها. ويمكن وجود احدى الحالتين الأوليين مع التهاب الغدة أو تغير حجمها بالأورام .

* زيادة نشاط الغدة « Hyperthyroidism » عرف قدماء الصينيين والمصريين علاقة اليود بمرض الغدة الدرقية ، الا أن أول من وصف هذه الحالة وحدد أعراضها هو الدكتور « باري – Parry » ، كما أن الدكتور « جريفز – Graves » وصف المرض في مقالة خاصة نشرها عام ١٨٣٥م ، ولذلك يسمى هذا المرض باسمه في معظم الأحيان . ومنذ ذلك الحين والالمام بهذه الحالة المرضية يزداد والمعرفة تتسع ، سواء كان ذلك في طبيعة المرض وتفاصيله ، على الصعيدين الكيماوي والسريري ، أو في طرق المعالجة المتنوعة .

ولا ينحصر هذا المرض في سن معينة ، الا أنه غالبا ما يحدث في سن المراهقة ، وهو في الأناث أكثر منه في الذكور بنسبة قد ترتفع الى الضعف ، وهو نادرا ما يحدث في سن الطفولة .

أما الأسباب الحقيقية لهذا المرض فما تزال مجهولة حتى الآن ، اذ لا يعرف على وجه التحديد ما الذي يحول الغدة الدرقية من حالة النشاط الطبيعي الى النشاط المرضي المصحوب بأعراض وعلامات متعددة . الا أن هناك شبه علاقة بين أسباب هذا المرض والصدمات النفسية ، والعدوى ، والحوادث ، وما شابه ذلك من حالات الضغط النفسي .

ولا تتخذ الغدة الدرقية حالا أو موقعا ثابتا في هذا المرض ، فقد تكون متضخمة تضخما شاملا ، وقد يكون حجمها طبيعيا . كما قد يكون مقرها في العنق ، وهو المكان الطبيعي لها ، وقد توجد في أعلى التجويف الصدري . وهناك حالات غريبة يكون فيها نسيج الغدة المتنشط في أحد المبيضين في الأناث . وفي بعض الحالات يكون مصدر النشاط الزائد ورم صغير أو « عقيدة – Nodule » مفردة ، وبقية نسيج الغدة طبيعي النشاط .

ومن أبرز أعراض زيادة نشاط الغدة الدرقية تضخمها تضخما بارزا وجحوظ العينين ، والتهيج العصبي لأبسط المثيرات ، وارتعاش أصابع اليدين الممدودتين واللسان ، وكذلك كثرة افراز العرق ، وانعدام القدرة على تحمل الجو الحار ، ونقصان الوزن ، وانحلال الجسم ، وضمور العضلات بالرغم من توفر الشهية الطبيعية للأكل لدى المريض . بالاضافة الى شعور بعض المرضى بالخفقان المتكرر ، والاحساس بالاختناق ، والاصابة بالاسهال . أما بالنسبة للمرضى من الأناث فقد يصاب بعضهن باضطراب في العادة الشهرية .

وأهم أعضاء الجسم التي تبرز فيها علامات هذا المرض هي الغدة نفسها والجلد عموما ، والعينان والقلب . ففي هذه الحالة يكون جلد المريض ناعما دافئا رطبا ، وشعره ناعم الملمس ، وفي بعض الحالات يزداد تساقط شعر فروة رأسه وابطيه . أما العين فبالاضافة الى الجحوظ يكثر الرمش والحملقة ، وارتعاش الجفن وهو مطبق ، واحتقان ما حول القرنية . وأما الغدة نفسها فأبرز التغيرات التي تطرأ عليها التضخم وانضغاط القصبة الهوائية من جراء ذلك التضخم . وأما بالنسبة للقلب فأبرز علامات هذا المرض فيه ، سرعة نبضه واضطراب دقاته وتضخمه وهبوطه في الحالات الشديدة . وجدير بالذكر أن هبوط القلب في هذه الحالات قلما يستجيب للعلاج الدارج لهبوط القلب .

هذا ، وتتضخم الغدة الدرقية نسبيا لدى المرأة الحامل ويزداد نشاطها قليلا ، مما يجعلها تشعر بالحر في الطقس العادي ، وتعرق كثيرا . بيد أن تلك أعراض طبيعية لا تلبث أن تزول بزوال الحمل .

وحيال تشخيص هذا المرض تبرز حالة شديدة الشبه في الظاهر بمرض تنشط الغدة الدرقية ، تلك هي حالة القلق والاضطراب النفسي الشديدة . فالخفقان وارتعاش اليدين ، وكثرة افراز العرق ، وتهيج الأعصاب ، كل هذه أعراض متشابهة في الحالين ، الا أن الجواب القاطع المميز يكمن في تعيين كمية اليود في الدم .

وكما أن ظاهرة الجحوظ السالفة الذكر ، ليست موجودة في كل فرد مصاب بمرض تنشط الغدة ، فان وجودها في بعض الأشخاص لا يقوم دليلا حتميا على وجود المرض ، فهناك حالات يكون فيها جحوظ العينين عاملا وراثيا عائليا .

أما علاج هذه الحالة فينحصر في ثلاثة أنواع قد تمتزج في الحالة الواحدة أحيانا . فالنوع الأول يتلخص في أعطاء المريض أحد مضادات الغدة لابطال عملية اصطياد اليود بواسطة الغدة الدرقية . على أن حالات عديدة تشفى تلقائيا دون تعاطي أي علاج خصوصا عند الأطفال ، كما أن أشخاصا آخرين قد يشفون مؤقتا لتعاودهم الأعراض نفسها بعد حين .

والنوع الثاني من المعالجة هو اعطاء المريض جرعة مناسبة عن طريق الفم ، تتراوح بين (٥ و ٧) ميكروكوري « Microcurie » من مادة اليود المشع بحيث تكفي تلك الجرعة لتعريض الغدة الى حوالي ٨٠٠٠ « راد – Rad » من الاشعاع . وميزة هذا النوع من العلاج سهولة استعماله . الا أن هذا النوع من المعالجة غير وارد في مرحلة الطفولة نظرا لخطورة الاشعاع الذي قد يتسبب في اتلاف جزء من نسيج الغدة يكفي لتحويلها من حالة التنشط الى حالة القصور وأعراضه .

أما النوع الثالث من معالجة هذه الحالة المرضية فهو الجراحة ، وذلك باستئصال معظم أجزاء الغدة الدرقية والابقاء على ما يفي منها بالغرض . وفي الحالات الشديدة من هذا المرض لا بد من استخدام أحد مضادات الغدة آنفة الذكر لاستعادة نشاط الغدة الطبيعي أولا ، ثم اعطاء المريض مادة اليود على شكل نقط بالفم لمدة أسبوعين على الأكثر لتخفيف احتقان الغدة قبل اجراء الجراحة .

بيد أن الجراحة يترتب عليها أحيانا احتمالات خطرة ، فهناك احتمال اعطاب عصب الحنجرة العائد الذي يؤدي بدوره الى فقدان المرء صوته أو اختناقه . وثمة خطر آخر يمكن حدوثه وهو النزيف الذي يعترض سبيل الجراح أثناء العملية الجراحية والذي يجعل من المتعذر عليه التأكد من خطواته ومن موقع مبضعه أثناء استئصال أجزاء الغدة . غير أن الخطر الذي لا يقل أهمية عن غيره من الأخطار هو احتمال استئصال احدى الغدد الدقيقة الأربع « نظيرة الدرق – Parathyroid » التي لا يتعدى حجم الواحدة منها حبة العدس ، والتي تقوم بتنظيم دورة الكلس والفوسفور في الدم . بالاضافة الى أن مبضع الجراح قد يجتث من الغدة أكثر مما يلزم مما يتعذر على الجزء الباقي منها افراز الكمية الضرورية من الهورمون ، كما هي الحال في استعمال اليود المشع ، مما يضطر المريض الى تناول خلاصة الغدة طوال حياته .

هذا ، وجدير بالذكر أنه وان عادت الغدة الى افرازها الطبيعي بعد أي من المعالجات السابقة ، فان جحوظ العينين في معظم الحالات يستعصي على العلاج ، وقد يؤدي في النهاية الى تلف في العينين ، مما يدفع الأطباء الى اجراء عمليات توسيع في محجر العين ، وتعريض الغدة النخامية للاشعاع ، الى غير ذلك من الوسائل التي ما زالت منفعتها غير مقطوع بها .

* قصور نشاط الغدة الدرقية : هذه الحالة على النقيض من سابقتها ، اذ أن الغدة فيها لا تفرز الا القليل من الهورمون ، أو لا تكون الغدة موجودة أصلا وهذا نادر الحدوث . ويكون هذا القصور على صورتين : الأولى ، وتحدث في مراحل الطفولة المبكرة حيث يولد الطفل وغدته لا تفرز الا القليل من الهورمون ، أو يولد بلا غدة اطلاقا . وتنشأ قلة الافراز عادة عن قصور في نشاط غدة الأم ، والطفل ما يزال جنينا في بطنها ، أو عن تعاطي الأم أدوية أو أطعمة تحتوي على أحد مضادات الغدة (والملفوف من هذه الأطعمة) مما يؤدي الى كسل الغدة وقصور نشاطها في الأم والمولود . كما أن من أسباب عجز الغدة وقصورها لدى الوليد نقص وراثي في احدى الأنزيمات والمركبات الضرورية للتحولات الكيماوية الدائرة في الغدة عند احتضانها لمادة اليود .

أما أعراض المرض وعلاماته في هذه المرحلة فهي صغر الحجم وقصر القامة ، وفلطحة الأنف وتباعد العينين أكثر من المعتاد ، وغلاظة الشفاه ، وتدلي اللسان ، وقصر اليدين ، وخشونة الصوت ، وانتفاخ البطن ، والفتق السري ، والملامح العامة التي توحي بالغباء والتخلف العقلي ، وقلة النشاط والحيوية ، والامساك الشديد . وللتأكد من وجود المرض ، يقوم الطبيب بتعيين منسوب اليود العضوي في الدم والاستدلال بالتصوير الشعاعي على تخلف نمو العظام .

هذا ، وان تشخيص هذه الحالة في وقت مبكر جدا في غاية الأهمية لمباشرة العلاج الكفيل بانقاذ الحالة العقلية لهؤلاء الأطفال قدر الأمكان ، أما علامات التخلف الجسمي فانها تتحسن كثيرا ، وقد تعود الى الوضع الطبيعي . على أنه من غير المؤكد ضمان حالة عقلية طبيعية مائة في المائة ، حتى ولو بديء بالمعالجة عقب الولادة فورا ، اذ أن المعتقد أن اصابة الدماغ بهذا المرض تبدأ في المراحل الجنينية الأولى .

أما الصورة الثانية فهي بروز علامات قصور نشاط الغدة في مراحل الطفولة المتأخرة ، وفي مراحل البلوغ . وقد يكون سبب قصور نشاط الغدة في هذه الحالة أوليا ينحصر في الغدة نفسها ، أو ثانويا ينتج عن ضعف الغدة النخامية التي تهيمن على الغدد الصماء جميعها .

وفي حالة القصور الأولي ، تفرز الغدة كمية من الهورمون أقل مما يحتاجه الجسم نتيجة لالتهابها أو ضمورها ، أو استئصال قسم كبير منها بالجراحة ، أو اتلاف جزء منها بالاشعاع ، كاليود المشع أو بالاشعاع الخارجي الطبيعي أو بالاشعاع المستعمل للمداواة . الا أن معظم حالات الكسل أو القصور في نشاط الغدة الدرقية لدى البالغين يحدث نتيجة ضمور في الغدة نفسها لأسباب مجهولة . وفي حالة القصور الثانوي تكون الغدة النخامية مصابة بمرض يضعف قدرتها على افراز الهورمون المنشط للغدة الدرقية ، والذي بدونه لا تعمل الغدة الدرقية بشكل مرض .

أما أعراض هذه الصورة في الأطفال فهي لا تختلف كثيرا ، الا من حيث الدرجة ، عن الصورة التي عرضناها عن مرحلة الطفولة المبكرة ، فالأعراض هنا أقل بروزا .

وفي البالغين تبرز أعراض هذه الصورة من خلال النظرة الأولى للمريض ، خصوصا في حالات قصور نشاط الغدة الشديد . فملامح البلادة في الوجه ، وانتفاخ الجفنين ، واكتناز الشفتين ، وبهوت لون البشرة وشدة التأثر بالطقس البارد ، والاصابة بالزكام الشديد ، وطول فترة الحيض لدى النساء .. كل هذه الأعراض توحي بتشخيص المرض وفي هذه الحالة يكون جلد المريض جافا خشنا ، وطريا أحيانا بسبب تورمه بالماء الغني بالزلال ، وشعره خشنا وجافا . وفي حالات قصور نشاط الغدة الشديد يتورم اللسان وتنتفخ الحنجرة ، ويبح الصوت تبعا لذلك ، ويصاب المريض بخمول عقلي وجسماني ، يؤدي الى اضعاف الذاكرة ، والذهول والى فقر الدم والامساك الذي قد يترتب عليه انسداد معوي . وفي حالات نادرة يصاب المريض بالجنون أو التخشب المؤقتين ، ربما نتيجة لتورم الدماغ .

ولدى الفحص يتبين تضخم في القلب ، اما لارتخاء عضلاته ، واما لتجمع السائل في غشائه . ثم يأتي دور المختبر في توكيد الانطباع السريري ، فيتبين انخفاض مستوى اليود العضدي في الدم ، كما يتبين عجز الغدة عن التقاط القدر الكافي من اليود المشع اذا ما حقن به دم المريض . ومن العلامات المؤكدة الأخرى تخطيط القلب بالكهرباء فهو يكشف عن انخفاض في قوة كهرباء القلب .

ويعالج قصور نشاط الغدة الدرقية عادة باعطاء خلاصتها (الغدة المجففة) للمريض ، وهي على شكل أقراص ، أو باعطائه مادة الهورمون الخالص ، وأهم شيء في المعالجة أن يعطى الدواء تدريجيا أي بجرعات صغيرة تزاد أسبوعيا لئلا يصاب المريض بهبوط في القلب نظرا لتنشيط فعاليات الجسم الحيوية بشكل مفاجيء . وأبرز ظاهرة تدل على تحسن حالة المريض ، نقص وزنه في الأسابيع القليلة من بدء تعاطيه العلاج ، حيث يبدأ الجسم بالتخلص مما انحبس فيه من سائل سبب له التورم .

* **أورام الغدة الدرقية :** وهي على نوعين :

أ — التورم البسيط — « Goiter » وصفه الصينيون القدماء منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، واستخدموا الاسفنج المحروق والأعشاب البحرية ، وهي غنية باليود ، في علاجه . الا أن أهمية اليود في علاج هذا المرض لم تعرف الا في عام ١٩١٦م .

وورم الغدة البسيط منتشر في كثير من أصقاع الأرض . وأكثر ما يشاهد في فترة المراهقة ، وأثناء الحمل والرضاع ، وهو في الأناث عشرة أمثاله في الذكور .

ينقسم هذا الورم البسيط الى نوعين : الورم العام المنتشر بشكل منتظم ويشمل كل نسيج الغدة ، والورم « العقدي — Nodulor Goiter » . وهو عبارة عن عقيدات متعددة يتكون منها نسيج الغدة الدرقية . ولا فرق بينهما من حيث كمية الافراز الهورموني .

أما سبب هذا الورم فيعتقد أنه يكمن في نقص نسبي أو كلي في كمية اليود المتناول يوميا . لذلك فهو منتشر في المناطق التي يفتقر فيها ماء الشرب الى اليود أو الى نسبة كافية منه . وهو نقص نسبي في حالات النمو السريع ، كما هو الحال في مرحلة المراهقة . ويؤدي نقص كمية اليود الى استثارة الغدة النخامية في الدماغ لافراز كميات كبيرة من الهورمون المنشط للغدة الدرقية مما يترتب عليه تضخم الغدة بتكاثر خلاياها وانتفاخ أكياسها .

ومن وجهة صحيحة فان المصاب بالورم البسيط لا يشكو عادة من أعراض ،عدا عن الناحية المظهرية ، الا أن بعض المرضى يشكون من أعراض انضغاط القصبة الهوائية بالغدة المتضخمة ، وفي بعضهم يقل افراز الغدة الدرقية عما يحتاجه الجسم من الهورمون .

ويجري علاج هذه الحالة بتعويض المريض عما ينقصه من يود ، على شكل نقط أو أقراص ملح اليود ، هذا في الحالات البسيطة ، أما في الحالات الشديدة فلا بد من اعطائه خلاصة الغدة ، أو الجراحة ، وخاصة اذا ما تبين أن هنالك أعراض انضغاط في القصبة الهوائية .

ب — سرطانات الغدة الدرقية :

وهذه تكون اما خبيثة أو غير خبيثة ، فالأورام الخبيثة توجد على أنواع . فمنها ما هو بسيط الخطورة ، ومنها ما هو معتدل الخطورة ، ومنها ما هو شديد الخطورة . أما الأورام غير الخبيثة البسيطة فهي التي ينحصر تضخمها داخل غشاء أو غلاف الغدة نفسها ، سواء كان ذلك التورم طلعا واحدا أو متعدد الطلوع ، وبذلك لا يصل نمو الطلع أو الطلوع الى الدم بحيث ينتشر في الأنسجة المجاورة والجسم عموما .

وتمييز السرطان الخبيث ، من غير الخبيث من حيث درجات الخطورة ، أمر معقد ، مرده في النهاية الى المجهر . ويمكن القول أن الغدة الصلبة الملمس ، اذا سلمت من عامل القصور ، فانها تعطي الفاحص نسبة عالية من الاشتباه باصابتها بالورم الخبيث . ويكون علاج هذه الأورام جميعها باستئصالها وفحصها للتشخيص ثم اتخاذ الاجراءات اللازمة فيما بعد على ضوء ما يثبته الفحص والتشخيص .

* التهابات الغدة الدرقية : — نادرا ما تصاب الغدة الدرقية بالالتهاب ، واذا ما التهبت فانما يكون التهابها على ثلاثة أشكال :

* **الالتهاب المحدد** « Specific » ، ويعني أن الجرثومة التي تسبب الالتهاب تكون معينة معروفة ، وهذه الحالة من الالتهاب نادرة الحدوث اذا ما قورنت بالالتهاب غير المعين . ولدى الفحص تظهر علامات احمرار وتورم في الجلد الواقع فوق الغدة ، مما يؤلم المريض مجرد لمسه ، وقد ينشأ عن هذا الالتهاب خراج ، يؤدي الى ازدياد نشاط الغدة . ويعالج هذا الالتهاب بالمضادات الحيوية المناسبة .

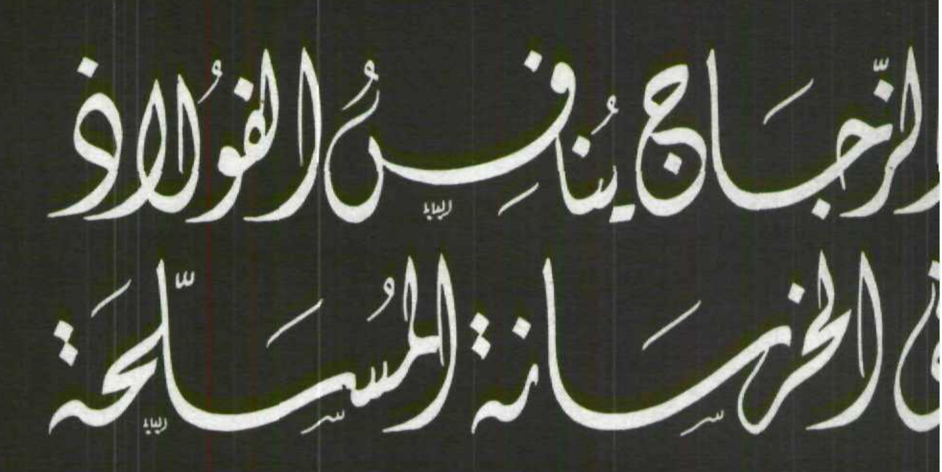
* **الالتهاب غير المحدد :** وهو اما أن يكون حادا أو شبه حاد . والصورة السريرية في هذه الحال لا تختلف عن سابقتها الا أن الجرثومة لا تكون معروفة . ونظرا لجهل نوع الجرثومة فان علاج المريض بالهورمون المنشط « للغدة الكظرية — Adrenal » أمر دارج ، وان كانت فائدته غير مضمونة .

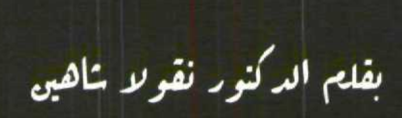
* **الالتهاب المزمن :** وهو نوعان يسهل تمييزهما بالمجهر : التهاب « هاشيموتو — Hashimoto's » ، و « التهاب ريدل — Riedle's » . وقد يؤدي هذان النوعان من الالتهاب الى ازدياد نشاط الغدة أو قصورها أحيانا ، ويعتقد أن منشأ هذا النوع من الالتهاب حساسية في الجسم مظهرها في الغدة . ويجري علاج هذه الحالة بالاشعاع وخلاصة الغدة نفسها ■

من حقيبة الذكريات

للشاعر طاهر زمخشري

يا شراع الخيال ، طافت به الذكرى على أمسنا القريب البعيد
في الروابي الوضاء ، في الروضة الغناء ما بين عاطر ونضيد
في العوالي ، وفي قباء وفي عروة في ملتقى الحرار السود
في مجالي الهوى ، ومسرى الترانيم ، ومجلى السنى ، وملعب غيد
في مغان .. فيها المحاسن بالاغراء تسطو بأعين وقدود
فالقدود التي تميس بها الأعطاف يلهو دلالها بالكبود
والبشاشات في المرابع اشراق يشيع الضياء بالتغريد
ويصب الصفاء من منبع الايمان ريا لكل قلب عميد
عشق الحسن في مغاني القداسات ، وأمجاد طارف وتليد
فاذا الذكريات تخطر فيها ويعيد الصدى نشيد الخلود
يا شراع الأيام .. انا مع النجوى .. ننادي بفرحة المستعيد
كيف كنا نعيش في كنف الأمس ، وقد ماس في مطارف رود
السنا حاكها ، وصور منها ماضيا .. صافح المدى من جديد
في حنين به نعود الى الماضي .. بما رف حولنا من بنود
كلها بالاخاء تجمع شملا في اطار من أمة التوحيد
أمة صاغها الاله من الحب نقي الأهداف والمقصود
قد تلاقت على الصفاء وراحت تشهد الله إثر كل سجود
انها للهدى ستبني صروحا وتوالي مسيرة التصعيد
بلواء ما زال يخفق بالدين ، ويهفو لنصرنا الموعود
في الجهاد الذي عقدنا له الراية .. عبر المدى .. لخير الوجود





انت مواد البناء المعروفة في الأزمان الغابرة مقصورة على الطين الممزوج قش ، واللّبن ، والصخور الضخمة ، التي تخدمت في بناء الاهرامات ، واشادة سور ين الكبير ، وقلعة بعلبك الأثرية ، التي ظلت لاف السنين صامدة في وجه العوامل الطبيعية ختلفة .. غير أن أجزاء عديدة من العالم لم تكن ية بمصادر الحجارة والصخور آنذاك ، مما دا بالناس الى اللجوء الى استخدام وسائل بدائية كنتهم من الحصول على مواد معينة يشيدون بها نازل والبيوت .

ومن بين هذه الوسائل البدائية التي عمد اليها لانسان في أغراض البناء ، مواد ترابية رخوة تمزج القش ، ثم تترك لتجف حتى تصبح قاسية ماسكة الأجزاء . وقد برهنت هذه المواد على متعها بقوة شد وضغط كبيرين ، كما برهنت لى صمودها في وجه رياح عاتية بلغت سرعتها حو ٢٤٠ كيلو مترا في الساعة .

لقد شقت عملية مزج الطين بالقش طريقها ي بعض بلدان الشرق الأوسط ، فهنالك قرى ديدة في بعض الأقطار العربية ما زالت بيوتها شادة بهذه الطريقة .. غير أن استخدام الطين لجفف ، لم يكن مقصورا على بناء البيوت فحسب ، وانما شمل أيضا بناء مواقد الطبخ والتدفئة ، والأفران ، وكذلك عنابر خزن الحبوب . وهكذا نرى أن استخدام الألياف لزيادة قوة الشد في مواد البناء الضعيفة ، كان معروفا منذ زمن قديم في بعض أنحاء الشرق الأوسط حيث كانت توجد المواد الأولية ، وحيث كانت تدعو الحاجة الى اقامة مساكن تتعرض لرياح قوية .

أما في العصر الحاضر فقد أصبحت الخرسانة المسلحة شائعة الاستعمال في بناء البيوت والسدود والجسور وأنابيب المياه الضخمة . كما أن دروع المفاعلات الذرية التي تتألف من جدران يبلغ سمكها عدة أمتار ، قوامها الخرسانة المسلحة والرصاص ونوع خاص من البلاستيك . لكن ارتفاع أثمان الفولاذ وأجور العمال في حقل البناء بالخرسانة المسلحة جعلت الخبراء يلجأون الى ايجاد مادة بناء جديدة ، قوامها الألياف الزجاجية والخرسانة ، وتتميز بقوة شد وضغط كبيرين .

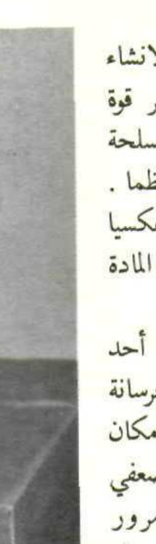
تطوّر الدراسات في حقل الخرسانة المسلّحة

كثيرا ما نشاهد جماعات ، ليسوا من ذوي الخبرة الكافية ، يقومون بتشييد منازل من الخرسانة المسلحة ، ويوزعون قضبان الفولاذ فيها معتمدين على معلومات سطحية ، فتأتي النتيجة مرضي أحيانا . وقد عالج هذه الفكرة في العشرين س الماضية عدد من الأخصائيين في حقل الانشا وظهرت أول دراسة في هذا الشأن في شهر يوني (حزيران) عام ١٩٦٣ ، وكان موضوعها حو « تصرف الخرسانة عندما تكون مسلحة بأسلا فولاذية قريبة من بعضها البعض » . وقد تبين م خلال هذه الدراسة أنه في مثل الحالة تكون الق القصوى الكامنة في التواء العارضات أعظم بكث مما عرفه الأخصائيون عن طريق النظريات في ه المجال . كما تبين ان هناك علاقة بارزة بين الق القصوى في العارضات والمسافات القائمة بي أسلاك التسليح . أما سبب هذه القوة فعائد ا نتيجة انعدام تشقق الخرسانة بفضل القرب بي الأسلاك .

وفي العام نفسه أيضا تبين من دراسة أخر أجريت حول الموضوع نفسه ، أنه عند تعريض الخرسانة المسلحة لقوة شد باتجاه طولي لا تك هذه القوة ، المتدنية نسبيا ، ملازمة للمادة وبذلك علم أنه يمكن تجنب حصول أي كس في الخرسانة نتيجة لتعريضها لقوة شد باتج طولي في الخرسانة اذا ما أحسنت طريقة التسل عند البناء .

هذا وقد سبق للاخصائيين في حقل الانشاء أن قاموا في عام ١٩٥٨ بدراسة حول تقدير قوة الشد اللازمة لكسر قطعة من الخرسانة المسلحة بقطع قصيرة من الأسلاك موزعة توزيعا منتظما . فتبين لهم أن قوة الشد هذه تتناسب تناسبا عكسيا مع بعض الأسلاك في قطعة الخرسانة كما أن المادة تحتفظ بقوة جوهرية فور حدوث الكسر .

وقد ظهر في عام ١٩٦٥ تقرير أعده أحد أقسام الهندسة الأمريكية ، تحت عنوان « الخرسانة المسلحة بواسطة الألياف » ، أشار الى انه بالامكان رفع قوة الالتواء القصوى الى أكثر من ضعفي ونصف ضعف قوة الخرسانة الصرفة بعد مرور ثمانية وعشرين يوما على البناء ، وذلك باستعمال قطع من أسلاك الفولاذ موزعة بشكل غير منتظم ، بينما تزداد قوة الضغط الى ٥٠ في المائة .



صورة تمثل لفة من ألياف الزجاج (الى اليمين) وكومة من خيوط « الفايبرايت » التي تشكل العنصر الزجاجي في صناعة الزجـــاج الليفي (الى اليسار) .

الخرسانة السابقة الاجهاد والمسلحة بالزجاج

نشر العالم « ايفان روبنسكي » أحد أساتذة كلية الهندسة في الجامعة الأميركية في بيروت ، مقالا في مجلة هندسية في مارس ١٩٥١ ، عالج فيه فوائد الخرسانة السابقة الاجهاد ، مشيرا بذلك الى أن بلدانا عديدة لا تنتفع بميزات هذه الطريقة المعمارية ، بسبب افتقارها الى نوع قوي من الفولاذ تتطلبه عملية الاجهاد السابق . وقد رأى « روبنسكي » أن هذه البلدان قد تجد في ألياف الزجاج وحباله بديلا عن الفولاذ .

في تلك الأثناء صادف وجود هذا الأستاذ « روبنسكي » في أمريكا ، فأخذ يقوم بدراسات عملية في هذا المجال ، لأنه كان مقتنعا بصواب هذا الرأي ، فالمواد الخام لصنع الزجاج متوفرة في كل مكان تقريبا وبمقادير كبيرة ، كما أن وسائل صنع ألياف الزجاج ميسورة ، ومن هذه الألياف تصنع الحبال والخيوط والقضبان . وقد ذهب هذا الأستاذ الى القول بأن كمية ضئيلة من الألياف الزجاجية تكفي لصنع عارضة سابقة الاجهاد . وربما كان وزن هذه الكمية من الألياف لا يتعدى ١ في المائة أو ٢ في المائة من وزن الفولاذ المطلوب لصنع العارضة ذاتها .

وألياف الزجاج لا تتمتع بخاصة المرونة أو التمدد من الناحية العملية . ومن ميزاتها قدرتها العالية على مقاومة الحوامض والقلويات ، وعلى تحمل الحرارة العالية مما يجعل الخرسانة المسلحة بألياف الزجاج والسابقة الاجهاد أكثر مقاومة للحرائق منها في الخرسانة المسلحة العادية ، وأقل تعرضا للتآكل الناجم عن مياه البحر وبعض العناصر الكيميائية .

ومن ناحية أخرى يقول الأستاذ « روبنسكي » ان تدني عامل المرونة في حبال الزجاج الى ستة ملايين رطل للبوصة المربعة يعتبر ميزة من ميزاتها ، وذلك لأن تدني عامل المرونة في الخرسانة السابقة الاجهاد يؤدي الى تدني النقص في قوة المادة نتيجة للانكماش وتغير الحرارة ومرونة تدفق الخرسانة .

وهناك حقيقة تطرق اليها « روبنسكي » ، وهي أن قوة الشد في ألياف الزجاج كبيرة للغاية ، اذ تبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠ رطل للبوصة المربعة في ألياف من السليكا يبلغ قطرها نحو ثلاثة أجزاء من مائة ألف جزء من السنتيمتر . وفي رأيه أن تفاوت التوزيع في قوة الشد يجعل قوة الحبال المصنوعة من هذه الألياف أقل بكثير من مجموع قوى الألياف منفردة . وان أمكن تفادي ذلك فقد تبلغ قوتها حدا يزيد على مليون رطل للبوصة المربعة . ويبلغ حجم ألياف الزجاج اللازمة لتحضير خرسانة سابقة الاجهاد ربع حجم أسلاك الفولاذ ذات السحب البارد ، حيث يبلغ عامل المرونة لدى الأخيرة نحو ٢٢٥٠٠٠ رطل للبوصة المربعة. هذا ، بالاضافة الى أن وزن الزجاج يعادل جزءا من أربعة عشر جزءا من وزن الفولاذ .

وقد أشار الأستاذ « روبنسكي » ، في الوقت نفسه ، الى الصعوبات التي تعترض ادخال الزجاج في الخرسانة السابقة الاجهاد . ومن هذه الصعوبات ان قوة الشد في ألياف الزجاج تضعف بازدياد أقطار الألياف ، وان تأثير الشقوق والتفاوت في التوزيع يجب أن يؤخذا بعين الاعتبار . على أنه في الألياف الصغيرة تقل هذه العيوب وترتفع قوة الشد القصوى لديها الى أعلى معدل ممكن . أما في الألياف الرفيعة فان هذه العيوب تتمدد وتتوزع بموازاة محور الألياف ، ولا سيما على السطح ، مما قد يؤدي الى انخفاض الاجهاد المحلي وبالتالي الى ازدياد قوتها القصوى . وبالاضافة الى ذلك فقد تبين أن هناك فرقا في القوة بين الألياف الجافة والألياف الرطبة ، بحيث تزداد القوة الى ٣ أو ٤ أضعاف في الفراغ عندما تختفي الرطوبة تماما . وهناك مشكلة أخرى يواجهها مصممو الخرسانة السابقة الاجهاد والمسلحة بألياف الزجاج ، وهي تنظيم توزيع قوة الشد بين ألياف الحبل الواحد ، اذ تبين لهم أن قوة حبل الزجاج تصل أحيانا الى ٥٠٪ أقل من مجموع قوى الألياف منفردة .

هذا وقد أجريت سلسلة من التجارب لاستبدال الفولاذ بألياف الزجاج في الخرسانة المسلحة ، لكنها جميعها كانت فاشلة ، وذلك لأن عامل المرونة في الزجاج أقل منه في الفولاذ . ولما كان عامل المرونة في الزجاج يشكل نحو ضعفي ما هو في الخرسانة ، فان نسبة قليلة من قوة الشد تنتقل من الخرسانة الى الألياف الزجاجية ، بينما يكون فرق القوة بين ألياف الزجاج والخرسانة كبيرا للغاية.

على أنه في الخرسانة السابقة الاجهاد ، تختلف الأمور اختلافا كاملا عما سبق . فمرونة أسلاك

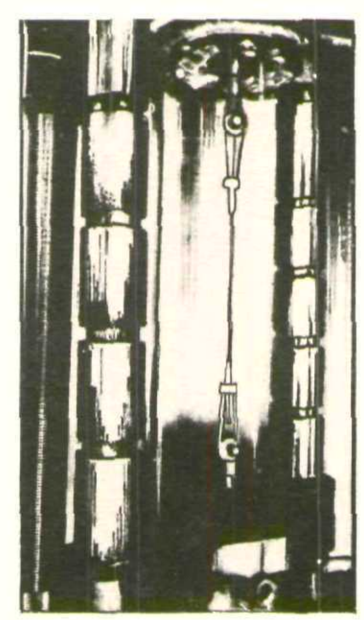
الزجاج المتدنية مفيدة للغاية نظرا لأن نسبة الخسارة في مرونة الأسلاك السابقة الاجهاد الناتجة عن عوامل الزحف والتقلص والشد المروني وتغير الحرارة في الخرسانة ، والتي تتراوح بين ١٥ و ٢٠ في المائة لدى استخدام فولاذ ذي قوة شد عالية ، تصبح قليلة جدا .

الخواص الميكانيكية لأسلاك الزجاج

اكتشف العلماء منذ بضع سنوات أن أسلاك الزجاج تتمتع بقوة عالية ، وذلك من خلال دراسات قاموا بها في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٤٥ ، في كل من روسيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وانكلترا ، وألمانيا ، وغيرها من البلدان التي أدركت أهمية هذه الأسلاك من الناحية العلمية والصناعية . وقد كشفت التجارب عن ان أسلاك السليكون المذاب تتمتع بقوة شد مقدارها خمسة ملايين ومائتا ألف رطل للبوصة المربعة ، وذلك عند استعمال سلك قطره ٣ أجزاء من ١٠٠٠٠ جزء من السنتيمتر .

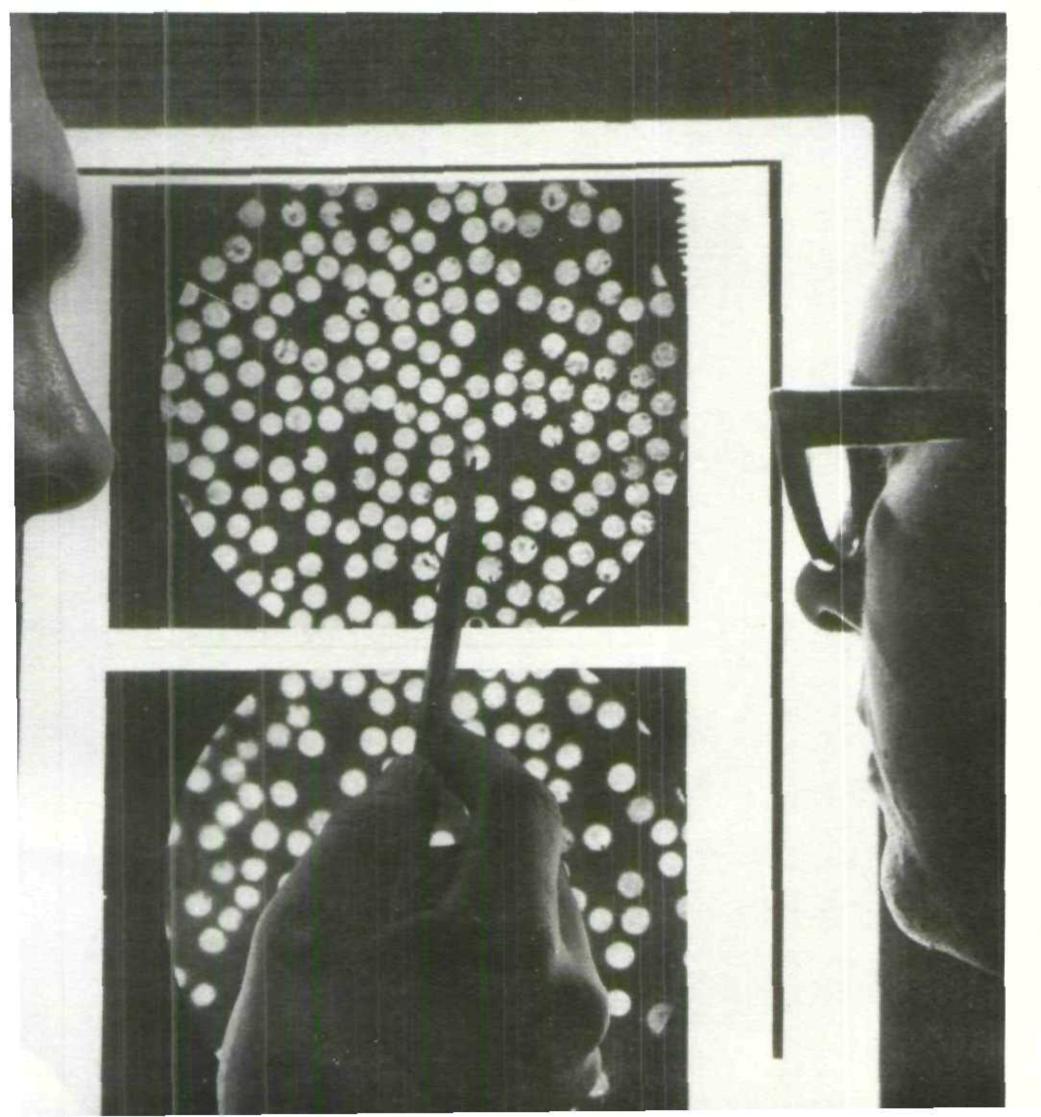
لقد توصلت احدى الشركات الى صنع ألياف زجاجية لتقوية نوع من اللدائن تبلغ قوة الشد لديها ٢٧٠٠٠٠ رطل للبوصة المربعة . في حين أن التجارب المخبرية التي أجريت على بعض أنواع الألياف الزجاجية الحديثة كشفت عن أن هذه الألياف تتمتع بقوة تتراوح بين ٦٠٠٠٠٠ و ٧٦٠٠٠٠ رطل للبوصة المربعة . كما توصلت بعض الشركات الى صنع نوع من الحبال الزجاجية يستخدم في أغراض تجارية ، تتراوح قوة مرونتها بين ١٥٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠٠ رطل للبوصة المربعة ، وذلك يتوقف على نوعية الغلاف السطحي للحبال وكيفية معالجتها . بينما بلغت هذه المرونة في بعض أسلاك صنعت من ألياف الزجاج نحو ١٠ ملايين رطل للبوصة المربعة .

هذا ، ومعلوم أن من بين مواد البناء الحديثة المعروفة في عصرنا الحالي ، نوعا من الحبال مصنوع من ألياف الزجاج يعرف باسم «غلاستران» وهو يضاهي في متانته وقوة احتماله أسلاكا فولاذية تقليدية مماثلة له في السمك ، لكنه أخف منها وزنا بمقدار الربع . ومادة «غلاستران» التي يصنع منها هذا النوع الجديد من الحبال ، مصنوعة من ألياف زجاجية مشربة بصمغ لدن ، تنسج على شكل فتائل وتجدل ، كما هي الحال في أي حبل عادي .



اثنان من الأجهزة الآلية التي اعتمد عليها البروفسور «روبنسكي» في تجاربه التي أجراها في جامعة «برنستون» عام ١٩٥٤ ، لمعرفة مدى قوة الشد التي تتمتع بها الألياف الزجاجية .

فنيان في صناعة الزجاج الليفي يتفحصان صورتين مجهريتين لبعض الأنسجة الليفية المصنوعة من مركب «هايكر – Hycor» والتي يعتقد بأنه سيكون لها استعمالات شتى في المستقبل .



اكتشاف مادة جديدة للبناء

هنالك مادة بناء جديدة توصل الى اكتشافها مهندس عربي اسمه «الدكتور سامي عبود كلنك» ، وهو أحد أساتذة الهندسة المعمارية في الجامعة الأمريكية في بيروت ، قوامها ألياف من الزجاج ممزوجة بالخرسانة ، وذات قوة شد تفوق قوة شد الفولاذ المستخدم في الخرسانة المسلحة بستة أضعاف ، وقد أطلق عليها اسم «فايكريت» (Fycrete) . وقد اكتشف الدكتور سامي هذه المادة أثناء دراسته للحصول على درجة الدكتوراه من احدى الجامعات الأمريكية ، ومنحته الحكومة اللبنانية وسام الأرز من رتبة فارس ، تقديرا لنشاطه العلمي هذا . وقد تنبه الدكتور «كلنك» الى هذه الفكرة ، أثناء جولة كان يقوم بها في شمالي سوريا ، حيث شاهد بيوتا عديدة مشادة من الطين والقش ما زالت قائمة بحالة جيدة رغم مرور مئات السنين على بنائها .

وتتألف العناصر الزجاجية التي تشتمل عليها مادة «الفايكريت» ، والتي تدخل كمقوّ في تسليح الخرسانة ، من ألياف يبلغ عددها ٣٠٠٠ ، وقطر كل منها ٠,٠٠٠٩٤ من السنتيمتر ، مشربة ومشمعة بصمغ لدن يحميها من أن تتفاعل مع القلويات التي ترافقها أثناء عملية مزجها بالاسمنت . وتعرف هذه العناصر الزجاجية الجديدة باسم «فايبرايت» (Fybrites) .

ويقول الدكتور «كلنك» أن تكاليف مادة البناء الجديدة هذه ، ستكون أقل من تكاليف الخرسانة المسلحة التقليدية بمقدار قد يصل أحيانا الى ٦٠ في المائة . ويمكن استخدامها أيضا في بناء البواخر ، لا سيما وانها قد سبق أن استعملت في بناء عدد من البواخر أثناء الحرب العالمية الثانية .

وطريقة انتاج العنصر الزجاجي «فايبرايت» يتم بمزج المادة الصمغية مزجا جيدا ، ثم دفع الألياف الزجاجية الى حوض حيث تتشرب الصمغ الاصطناعي ، ومن ثم الى فرن خاص يعطيها خواصها الجوهرية . بعد هذا تقطع الألياف الجافة الى أجزاء قصيرة ، حيث يتم توضيبها وحفظها في مخازن خاصة تمهيدا لاستعمالها .

وتوضع عناصر «الفايبرايت» بانتظام قريبة من بعضها البعض في القالب الخاص باعداد الخرسانة ، فينتج عن ذلك «الفايكريت» ، وهذه مادة تتحلى بقوة شد وضغط كبيرين .



الدكتور «سامي كلنك» ، يستعرض رزمة من الألياف الزجاجية التي توصل الى ابتكارها .

وتقوم المادة الصمغية بحماية ألياف الزجاج من المادة القلوية ، بايجاد سطح غير مستو ، يضمن ارساء عناصر الفايبرايت ميكانيكيا في الخرسانة . وعند توزيع قوى الشد بين عناصر الفايبرايت ، تتولد قوة شد قد تصل الى ٤٥٠ ٠٠٠ رطل للبوصة المربعة . وقد تبين أن خاصتي الشد والضغط اللتين يتمتع بهما عنصر «الفايكريت» تختلفان طرديا مع كمية الزجاج المستخدمة فيها .

وقد اكتشف الدكتور «كلنك» أثناء التجارب التي أجراها ، أن الألياف الزجاجية تتحلى بمقدرة عالية على مقاومة التشقق . والمعروف أن الارتخاء ، وهو نتيجة زيادة في الاجهاد دون زيادة في الضغط يحدث عادة قبل ظهور أي شقوق . وقد تبين في معظم الاختبارات ، أن معدل الضغط الذي يسبب الكسر أو التشقق يفوق معدل الضغط الذي يسبب الارتخاء بنحو ٣٠ في المائة . أما انعدام التشقق في مادة «الفايكريت» ، فيعود الى أن توزيع عناصر «الفايبرايت» في جميع الاتجاهات داخل الجسم يقاوم امتداد الشقوق التي تتولد عند أطراف الفراغات ، حيث يحصل شد قوي مركز . وصفة احتمال وقوة الشد العالية ومقاومة التشقق ، تجعل مادة البناء الجديدة صالحة لبناء مدارج المطارات والأحواض الكبيرة ، بالاضافة الى المنشآت التي تتعرض لمؤثرات الجليد وذوبانه .

وقد جرت دراسات تمهيدية على نماذج من هذه المادة ، عندما تركت معرضة لحرارة تتراوح بين ٢٩٠ و ٣١٥ درجة مئوية لمدة ساعة . وبعد ذلك ثبت طرفا كل واحد من هذه النماذج ، وأبعد مصدر الحرارة عنها لتبرد الى ٢٠ درجة مئوية .

وقد تبين من خلال مراقبة النماذج بوساطة جهاز للتكبير ، على أنه لم تحدث شقوق في سطوح النماذج عند انخفاض درجة الحرارة .

ويتابع الدكتور «كلنك» وعلماء آخرون في بلدان صناعية البحوث والتجارب على هذه المادة ، كمقدار تحملها قوة الشد الجانبي أو المقصي ، والتقلص ، والزحف وتأثير الزمن على خواصها الميكانيكية ، وغير ذلك ■



المسرحية من أحب فروع الأدب للناس ، وقد لاقت رواجا كبيرا في السنوات الأخيرة ، فتعدت الشعر ، وسبقت المقال ، وطغت حتى على الرواية والأقصوصة ، فكيف نشأت ؟

لقد أجمع مؤرخو هذا الفن على أن المسرحية نشأت أول ما نشأت كجزء من الطقوس الدينية ، ثم انفصلت عنها تدريجيا ، وأصبحت فنا مستقلا . وقبلا كان الاعتقاد السائد أن المسرحية نشأت في بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد أو نحو ذلك . ولخص هذا الاعتقاد « الآردايس نيكول » عام ١٩٤٩ بقوله في مستهل كتابه « المسرح العالمي » : ان الاكتشافات والأبحاث التي تمت حتى ذلك الوقت تدل كلها على أن المسرحية ولدت في بلاد اليونان عام ٤٩٠ ق.م ، حين عرض « اسخيلوس » أولى تراجيدياته في أثينا . على أنه يستطرد قائلا « بأن هذا لا ينفي وجود مسرح أقدم من ذلك بمئات — ان لم يكن بآلاف — من السنين ، استوحى تمثيلياته من الطقوس الدينية التي كانت لكهنة مصر الأقدمين ، وان لم توجد بعد الوثائق التي تؤيده » .

والواقع أن الوثائق التي افتقدها « الآردايس نيكول » قد أصبحت موجودة بالفعل ، وهي تؤكد بما لا يدعو الى شك أن المسرحية نشأت في مصر قبل مولد « اسخيلوس » بقرون عديدة ، منها ما أصدره العالم الفرنسي « أتيين دريوتون » وقد ترجمها وعلق عليها الدكتور ثروت عكاشة ونشرها بعنوان « المسرح المصري القديم » .

ومن الوثائق التي يشير اليها « دريوتون » ، والتي تدل على وجود مسرح في مصر القديمة ، نصب تذكاري عثر عليه في مدينة « ادفو » ، يرجع تاريخه الى عام ٥٨٠ ق.م على وجه التقريب . وكان ذلك النصب لممثل عاش في بداية عهد الأسرة الثامنة عشر ، أسمه « أمحب » ، دفن في ذلك المكان ، وكتبت حياته المسرحية على النصب الذي أقيم له . ومن ذلك النصب يستنتج العالم الفرنسي « فيكنتيف » ، في مقال نشره بالقاهرة عام ١٩٤٧ ، أن « أمحب » كان عضوا في فرقة تمثيل متجولة ، انحدرت الى الجنوب حتى بلدة « ميو » على أطراف النوبة ، وصعدت الى الشمال حتى مدينة « أورايس » ، كما يستنتج أن العروض المسرحية التي اشترك فيها كانت كلها دينية . أما مكان اقامة تلك التمثيليات فيدعى « أوسخة » وهو ، على حد تفسير الدكتور ثروت عكاشة ، اما بهو الأعمدة بالمعبد أو فناء كبير به أعمدة ، وكان يستعمل كقاعة استقبال للمعبد .

على أن التمثيل المسرحي في مصر لم يبدأ في عهد الأسرة الثامنة عشرة أيام الممثل « أمحب » ، بل كان معروفا قبل ذلك بمئات من السنين ، كما يتضح من آثار أخرى ذكرها « دريوتون » ، من بينها : بردية « الرمسيوم » ، وحجر « شبكو » . وقد أوضح غموض الوثيقتين الأوليين العالم الالماني « كورت ريته » ، حين نشرهما (مع نص آخر) في ليبزيج عام ١٩٢٨ بعنوان « نصوص درامية للمصريين القدماء » .

وتحوي بردية « الرمسيوم » تفاصيل عن تمثيلية دينية يدور موضوعها حول الصراع بين الخير والشر ، مثلت بمناسبة تتويج الملك « سنوسرة الأول » في عام ١٩٧١ ق.م وتلك البردية — على حد قول « ريته » — تبين أن تدوين النص المسرحي كان على مستوى راق من الدقة والدراية بأصول الفن ، كما يستدل مما كتب عليها من حوار مسرحي ، ومن تعليمات للاخراج

بقلم الدكتورة ماري مسعود

كتبت باختصار فني يبديها كما لو كانت مصطلحات متعارفا عليها لفن عريق .

أما الرموز المنقوشة على حجر « شبكو » ، فيذكر « ريته » أنها مقتطفات من نص لمسرحية أسطورية كبرى تتصل بخلق العالم ، . وقد تلفت أجزاء كثيرة من هذا الحجر الذي استخدم خلال قرون قاعدة رحى لطحن الحبوب ، ولم يبق من العبارات الحوارية الاثنتي عشرة — وهي التي كان من المفروض أن يشتمل عليها النص — سوى سبع عبارات لم يمسها التلف ، في ثنايا نص مكون من أربعة وستين عمودا لم يسلم منها الا طرفاه . وكان ذلك النص قد أعيد نقشه على حجر من الجرانيت الأسود في القرن السابع قبل الميلاد بأمر من الملك « شبكو » من مخطوط قديم ، ولذلك عرف باسم حجر « شبكو » . وبالرغم من قدم التمثيلية التي نقشت على ذلك الحجر ، الا أنها كانت ما تزال معروفة عند زيارة المؤرخ الاغريقي « هيرودوتس » لمصر حوالي عام ٤٥٠ ق.م. وهي مكونة من ثمانية فصول ، كانت تمثل سنويا لأيام عدة وقت الاحتفالات . ويحوي كل من فصولها فكرة مستقلة لها حكمة معينة وأهداف خاصة ، وان كانت تلك الفصول يكمل بعضها بعضا ، فتكون مسرحية كاملة البناء تامة العناصر . وكانت بعض الفصول تمثل سرا داخل الهياكل ، أما بقية الفصول فكانت تمثل علانية أمام الناس . ويذكر « هيرودوتس » في الجزء الثاني من كتابه « التاريخ » أنه تمكن من مشاهدة التمثيلية بأكملها عندما مر بمدينة « سايس » (صان الحجر) . وقد تأثر بقوة الأداء التمثيلي ، حتى ظن أن الصراع بين أعوان الشر وأعوان الخير هو صراع حقيقي يسقط فيه الكثيرون بين قتلى وجرحى ، برغم أن المصريين أكدوا له أن الأمر مجرد تمثيل متقن .

وقد اشترط الكهنة المصريون على « هيرودوتس » ألا يبوح لأحد بما رآه من الفصول السرية ، وقد وفى بما التزم به ، فاتبع الخفاء والرمز في كتابته عنها . ومع ذلك ، فان علماء القرن العشرين ، الذين درسوا أقواله ، استطاعوا بالمقابلة وبما يملكون من تحقيق ، أن يعرفوا أن المصريين القدماء كانوا يسمون الفصول السرية « مسرحيات دينية محجبة — Mysteries » ، وكان حفلها يقام ليلا على شاطىء بحيرة داخل الهيكل ، كما استطاعوا ، بالمقارنة ، فهم نصوص درامية أخرى كتبت على نفس النهج من الحذر والغموض .

أما النص الثالث فهو لأغنية مسرحية تسمى « الرياح الأربع » جاءت أجزاء منها في النص رقم ١٦٢ من « متون التوابيت » . وبالبحث اتضح أنها كانت معروفة منذ عهد الدولة القديمة ، اذ وجدت مشاهد منها مصورة على جدران نصب أحد أمراء بني حسن هو الأمير « خنمحوتبي » الذي عاش في عصر الملك « سنوسرة » الثاني من عام ١٨٩٧ حتى عام ١٨٧٧ ق.م. ويقول الدكتور ثروت عكاشة أنه من مقارنة البردية بالمشاهد المصورة يتضح وجود فتيات أربع ، يقمن بحركات تمثيلية ويغنين (على التتابع أو في توافق نغمي) مقطوعات أربع تفصح فيها كل واحدة منهن على أنها تملك ريحا من رياح الجهات الأربع الأصلية . ثم تندس بينهن فتاة ، تقوم بدور « عالمة » ، وتحاول أن تخدعهن حتى يفصحن لها عن ألقابهن . فاذا ما قوبلت هذه الفتاة بالرفض ، أخذت تحاول انتزاع السر منهن ، مستغلة أولا فضول الفتيات ، ثم نهمهن الى الطعام . ولكنها تخفق في الاستيلاء على الرياح بالحيلة ، فتلجأ الى القوة ، وتفلح في آخر الأمر في ضرب الفتيات الأربع اللاتي يمسكن بها . الى هنا يتفق النص البردي مع مشاهد النصب . لكنهما بعد ذلك يختلفان ، فبينما ينتهي النص بترفيه علماني ، تنتهي صور النصب بشعائر دينية ، اذ أن المشهد يمضي بعد ذلك فتتمكن «العالمة» الخامسة من الامساك بزمام رياح الجهات الأربع الأصلية . ويحدث هذا المشهد المصور في الهيكل ، كما تقول الكتابة التي تعلو الصور .

بعد هذا العرض السريع لبعض النصوص الدرامية القديمة ، يحق لنا أن نتساءل : هل تطور التمثيل المسرحي عند قدماء المصريين فتناول الأمور الدنيوية بعد نشأته الأولى في أحضان الدين؟

الواقع أن وجهات نظر العلماء تختلف حول هذا الموضوع . فالعالم الألماني « فيدمان » رأى في عام ١٩٠٥ في بحثه «نشأة الشعر المسرحي في مصر القديمة» أن التمثيلية المصرية ظلت حبيسة في دائرة الطقوس الدينية ، ولم تتطور لتتناول حياة الانسان في مجتمعه. ولكن نص أغنية الرياح الأربع الذي ينتهي بتمثيل علماني ، ونصوص درامية أخرى يذكرها « دريوتون » مبينا أنها تنتهي بأمور لا تتعلق بالدين ، قد جعلت الباحثين المعاصرين يأخذون بالرأي الذي أدلى به العالم الفرنسي « بنديت » عام ١٩٠٠ في كتابه « مصر » ، حين قال : « بعد الدراسات التي أجريت على الكتابة الهيروغليفية الواردة في بعض أوراق البردى ، والمنقوشة على جدران بعض المعابد ، تبين أن المصريين كان لهم مسرح شبيه بالمسرح اليوناني ، وان الطقوس الدينية في مصر كان يصاحبها التمثيل . وكما أن اليونانيين القدماء قد طوروا الأدب التمثيلي بعد أن أخرجوه من دائرة الطقوس الدينية ، فان هذا التطوير لا بد أن يكون قد حدث أيضا في مصر القديمة » ■

مجدل عنجر



«مجدل عنجر».. بلدة تاريخية وأثرية في لبنان، كانت عاصمة مملكة في الأزمنة الغابرة، ومقراً للأمراء الأمويين في القرن الثامن الميلادي، ومكان معركة مصيرية في تاريخ لبنان الحديث، وهي اليوم هدف أنظار الزائرين والسائحين، ويؤمها الأهلون في مناسبات شتى طلباً للنزهة والترويح عن النفس عند نبعها وحوضها وبين حدائقها وبساتينها الوارفة الظلال.

تبعد «عنجر» عن بيروت حوالي ستين كيلومتراً، وهي تابعة لقضاء «زحلة» وتقع على ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر، وتترامى منازلها عند سفوح الجبال المناوحة للبنان. والراغب في زيارتها يبلغ بلدة «شتورا» ومنها ينطلق بالسيارة مخترقاً سهل البقاع من الغرب الى الشرق في خط مستقيم، ماراً بقرى «تعنايل»، «برالياس» و«دير زنون» مجتازاً طريقاً منسقة، تمتد على جانبيها وعلى مسافات شاسعة، أراضٍ زراعية خصبة، وبساتين بقول وفاكهة، وصفوف طويلة من أشجار الحور الباسقة، وتنساب فيها مياه غزيرة متفرعة من نهري «الليطاني» و«عنجر».

بقلم الاستاذ نجاتي صدقي

لمحة تاريخية

ان أقدم شعب استوطن هذه البقاع هم الكنعانيون ، الذين عرفهم الاغريق فيما بعد باسم الفينيقيين ، نسبة الى فوينك (PHOENIC) أي صباغ الارجوان الذين اشتهروا بصنعه .

ثم خلفهم الآراميون النازحون من الجزيرة العربية ، وجعلوا منطقة عنجر ، حوالي السنة الألف قبل الميلاد ، مقرا لدولتهم الممتدة من الفرات الى اليرموك . وكانت عنجر تعرف في أيامهم باسم « صوبه » ، وهي تعني بالآرامية : الأحمر ، أو النحاس ، لوفرة مناجم النحاس في المناطق الجبلية التي تحيط بها . وقد عرفها الاغريق فيما بعد باسم خلقيس (CHALCIS) ، أي النحاس أيضا .

وخلال القرن الثاني قبل الميلاد قام العبريون بحملة توسع ، وأغاروا على مناجم النحاس في « صوبه » أو « عنجر » ، غير أن عاهل مملكة « صوبة » الآرامي « هدد عزر » استعاد هذه المناجم من أيدي العبريين ، وأيد آراميي دمشق في محاربة الدولة العبرية .

ثم انتقل مقر الدولة الآرامية الى دمشق ثانية ، وغدت صوبه أو عنجر مقر للايطوريين ، وهم قوم يتحدرون من أصل عربي أيضا ويتكلمون الآرامية ، وأسسوا فيها مملكة مستقلة صمدت في وجه الاحتلال الروماني زمنا طويلا .

وفي سنة ٦٤ق.م استولى القائد الروماني « بومبيوس غنايوس » على مملكة « خلقيس » ، أثناء زحفه على دمشق ، ثم أطلق الرومان على هذه المملكة وعلى البقاع كله اسم سوريا المجوفة (COELE - SYRIA) .

وفي سنة ٣٦ ق.م كان الامبراطور الروماني « ماركوس أنطونيوس » مسيطرا على البلادالسورية ، فقدم مملكة البقاع الى ابنه من كليوباطرا «سيزاريون بتوليمي» السادس عشر ، ونصبه ملكا عليها . وظل أحفاد بتوليمي يديرون مملكة عنجر الى أن عمد الامبراطور « كلوديوس طبريوس » (حكم من ١٤ حتى ٣٧ب.م) ، الى تقسيم مملكة عنجر ، وكانت تسمى « خلقيس طبريوس » ، الى قسمين ، وأطلق عليهما اسم حاكمية « ابيلين »

◀ أحد الأعمدة الضخمة التابعة للقصر الأموي في عنجر يزينه تاج بيزنطي .



مدخل القصر الأموي الأثري في مجدل عنجر بعد أن رممته دائرة الآثار اللبنانية .

(TETRACHY OF ABILENE) ، وعاصمتها (ابيلا) نسبة الى هابيل ، اعتقادا من القوم انه دفن فيها ، وهي تعرف اليوم باسم سوق وادي بردى ، على بعد ١٢ ميلا الى الجنوب الشرقي من عنجر .

ثم جاء الامبراطور « كلوديوس » الأول (حكم من ٤١ حتى ٥٤ ب.م) ، ووهب حاكمية « ابيلين » أو مملكة عنجر الى « هيرودس اغريبا » ، وهذا نصب القائد « ليسانيوس » رئيس ربع على « الابلية » ، وظلت هذه المملكة تخضع للحكم الروماني ثم البيزنطي الى أن استعادها العرب في القرن السابع الميلادي ، ثم أغار عليها الصليبيون سنة ١١٥٧ ميلادية ، وأزالوا معالمها .

العاصمة المفقودة

بحث الجغرافيون وعلماء الآثار عن موقع عاصمة خلقيس ، أو صوبة القديمة ، فلم يهتدوا اليه حتى أيامنا هذه ، غير أن دائرة الآثار اللبنانية قامت في الماضي بحفريات عند بركة أو حوض عنجر ، فعثرت على مجموعات من حجارة البناء وقطع البرونز يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد ، واستدلت منها على أن عاصمة عنجر القديمة كانت في هذه المنطقة بالذات .

وورد ذكر عنجر في كتاب « رحلة ميسلين » سنة ١٨٤٨ . قال : « تقوم على ضفتي نهر عنجر أطلال مدينة كبيرة ما زالت أسوارها معروفة ، وقسم منها كان أبراجا ، وكان لها أربعة أبواب كبيرة ، رأينا آثارها ، واثنان وثلاثون برجا مجهزا بالأعمدة الجميلة من الرخام والصوان ، وهناك نقوش وبقايا هياكل وأحواض وآبار كبيرة ، واسم هذه المدينة خلقيس » .

وذكرت عنجر أيضا في كتاب « بيروت ولبنان منذ قرن ونصف » لهنري غيز ، قنصل فرنسا في بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، قال : « ان القناة التي تجري فيها مياه أحد الينابيع الى مجدل عنجر وقصرها جديرة باهتمام ، فهي ذات مد وجزر .

أما الطاحونة المائية المستديرة الموجودة هناك فيرتادها أكثر أبناء القرى المجاورة للجبال المناوحة للبنان . وقد وجدت بين أنقاض قرية عنجر قطع أعمدة من صوان جميل أسود اللون وأبيضه وأحمره . وغير بعيد من ذلك المكان جامع مشيد على آثار هيكل قديم . وهناك نواويس وصهريج ينزل اليه بدرج ، وحول هذا الصهريج أنقاض كثيرة على جانب كبير من الضخامة » .

وآثار الهيكل التي يتحدث عنها « هنري غيز » هي خرائب هيكل شيد في أيام حكم أسرة هيرودس اغريبا للقرن الأول للميلاد ، ولربما كانت له أصول قديمة ، غير انه لم يبق منه اليوم سوى واجهة مع أعمدة أعيد استعمالها في القرون الوسطى لتؤلف الجدار الخارجي للقلعة المندثرة .

فخرائب الهيكل هذه محاطة بجدار عريض ، وصومعته لا تزال سليمة ، الا ان القسم الداخلي والخارجي من الجدارين الشرقي والغربي قد دمر بفعل الحرائق والحصار ، أما الجدار الغربي فلا

منظر عام للمدخل الشمالي للقصر الأموي في مجدل عنجر ، وقد بدت من خلفه أجزاء من جبال لبنان الشرقية .

بقايا من الأعمدة الأثرية لمدخل قصر أمراء بني أمية في مجدل عنجر وقد بدت في مقدمتها بعض الخرائب والأنقاض .

يزال بحالة جيدة ، كما ان الأبراج واثني عشر خطا عاليا من الأفاريز لا تزال واضحة المعالم .

وهناك بقايا كوات ، وقواعد أعمدة تقوم في داخل الصومعة ، في حين ان حجارة ضخمة تتراكم أمام المدخل من كل جانب .. ثم ان كثيرا من النقوش البديعة قد سقطت وأمحت ، وقد اكتشفت دار الآثار اللبنانيـــة قطعة نفيسة منها في الجهة الجنوبية الشرقية من الهيكل .

أما أعمدة الرواق كلها فقد انهارت أيضا ، وجمعت أجزاؤها في العصور الوسطى واستعملت لغايات الدفاع ولمنافع أخرى .

وهناك ممرات تحت الأرض وحجرات اكتشفتها بعثة آثار المانية برئاسة عالم الآثار الشهير « أوتو بوخشتاين » ، بين سني ١٩٠٠ و ١٩٠٤ ، فكشفت عن آثار الرومان في بعلبك والبقاع ، وما تم بعدهم على أيدي البيزنطيين ، وما زاده عليها المسلمون .

القصور الأموية

كان أمراء بني أمية ينشؤون لهم القصور والحمامات في الأردن وسوريا ولبنان ، فيلجأون اليها دائما ، وينعمون فيها بحياة ريفية رغيدة ، ويتخذونها قواعد لحماية طرق القوافل التجارية ، فهي من جهة قريبة من المناطق الصحراوية ، مصدر شوقهم واعتزازهم ، وهي من جهة أخرى غير بعيدة من مراكزهم الحضرية في دمشق والقدس ، وقد اجتمع فيها عدد من الشعراء والموسيقيين ، والمغنين والمهرجين .

وكانت هذه القصور والحمامات على الجملة منازل للصيد والمسرات ، وهي غنية بالفسيفساء ورسوم النباتات ، والطيور والحيوانات ، بالاضافة الى نقوش أخرى في غاية الابداع ، ويغلب عليها الطابع البيزنطي بما يحمله من تصاوير بشرية وحيوانية ، الى أن أصدر الخليفة يزيد الثالث سنة ٧٤٥م مرسوما بتحريمها .

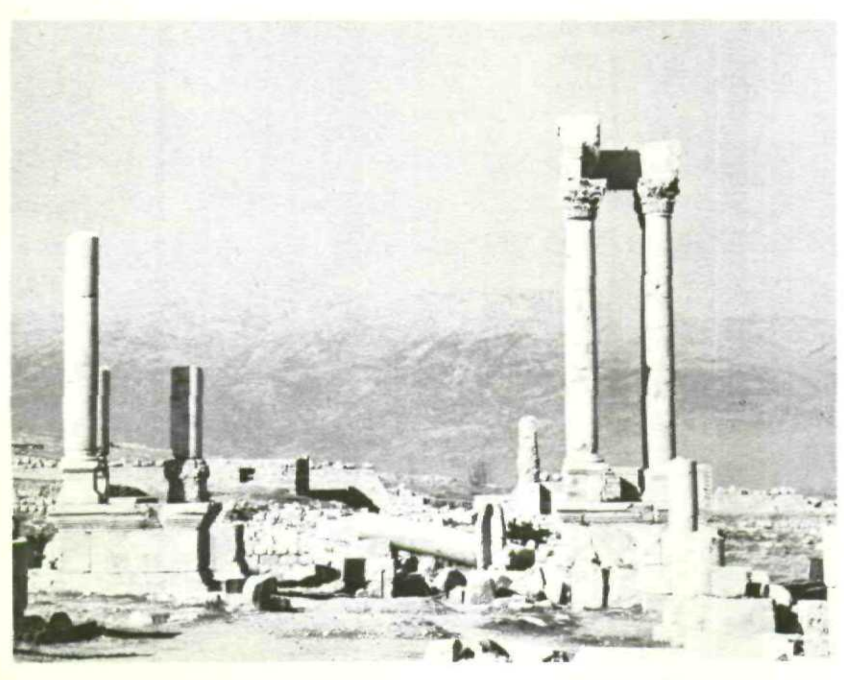
ومن هذه القصور الأموية : الأزرق ، والحلابات ، وعمره ، والخرافة ، والطوبة ، والقسطل ، والمشتى ، وخربة مفجر ، وكلها في الأردن ، وقصر الحير في سوريا ، والرصافة في العراق ، وعنجر في بقاع لبنان .

قصر عنجر

كان علماء الآثار قد عثروا في مطلع هذا القرن على جدار مدينة خربة في منطقة عنجر



مجموعة من بقايا الأعمدة الرومانية تعلوها تيجان بيزنطية .



عدد من الأعمدة الضخمة البيزنطية الطراز وقد بدت عليها علائم القدم والعفاء .

وزعموا انها خرائب العاصمة (خلقيس) القديمة ، غير ان دائرة الآثار اللبنانية ، أثبتت ان هذه الخرائب هي بقايا قصر أموي من القرن الثامن للميلاد .

فالقصر الأموي هذا هو على شكل سور مستطيل تقريبا تبلغ قياساته ٣٧٠ مترا الى الشرق و ٣٧٧ الى الغرب و ٣١٣ الى الشمال ، و ٣١٠ الى الجنوب ، ويبلغ سُمك جدرانه مترين ونصف المتر ، ويعتقد ان ارتفاعها كان يبلغ العشرة أمتار تقريبا .

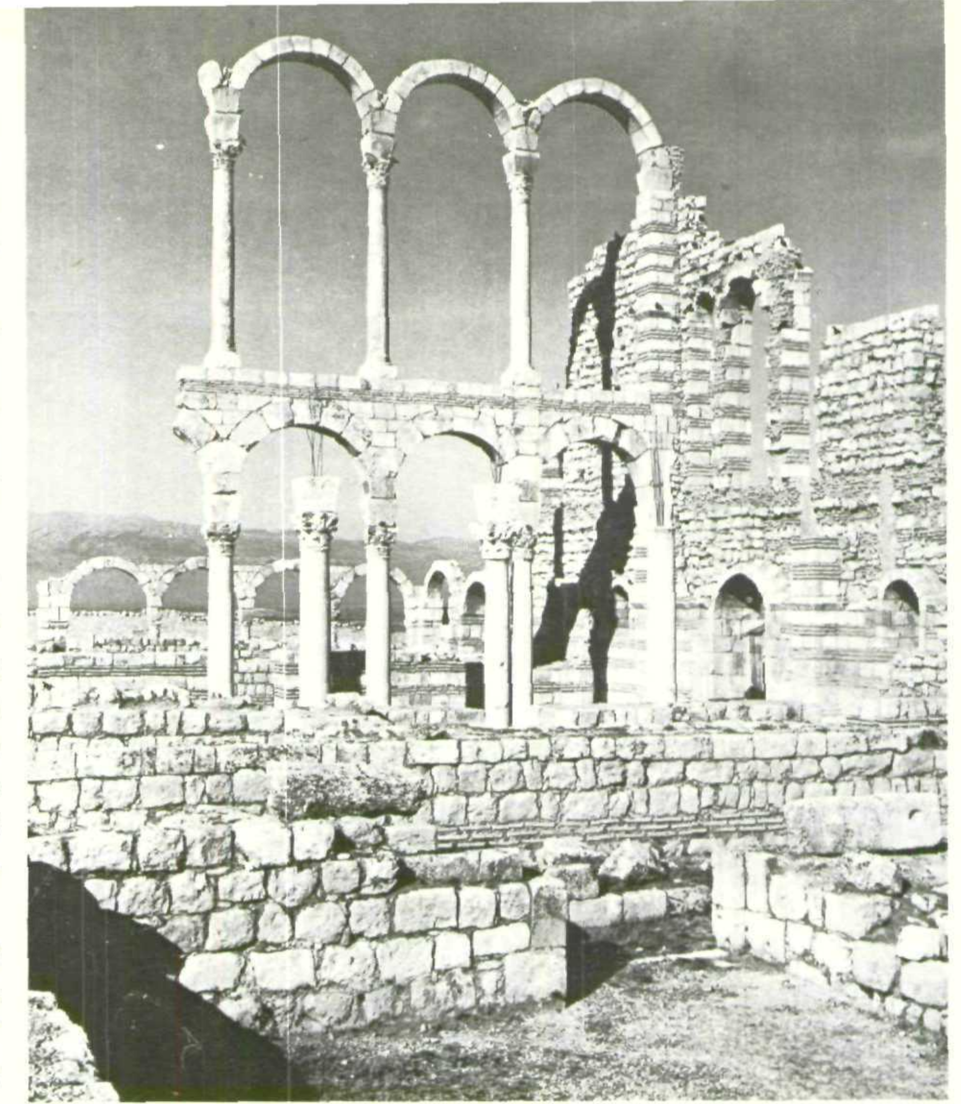
وقد شيد في كل من زوايا السور الأربع برج مستدير ومفرغ ، كما أقيمت أبراج نصف مستديرة بارزة وهي غير مفرغة فوق الجدران ، يبلغ عددها العشرة في الجهتين الشمالية والجنوبية ، بما في تلك التي تقوم الى جانبي الأبواب ، والثمانية في كل من الجهتين الأخريين . ويبلغ شعاع (أي الدعامة الأفقية) الأبراج الخارجية ثلاثة أمتار وتسعين سنتمترا ، كما يبلغ سُمك جدران أبراج الزوايا مترا و ٧٥ سنتمترا .

وقد بنيت على مقربة من أبراج الزوايا سلالم تؤدي الى أعلى الجدران مبنية من الداخل بحجار مغموسة بالكلس والرماد ، ومن الخارج بحجارة كلسية ضخمة حسنة التقصيب ، ومحكمة التكحيل بين المداميك .

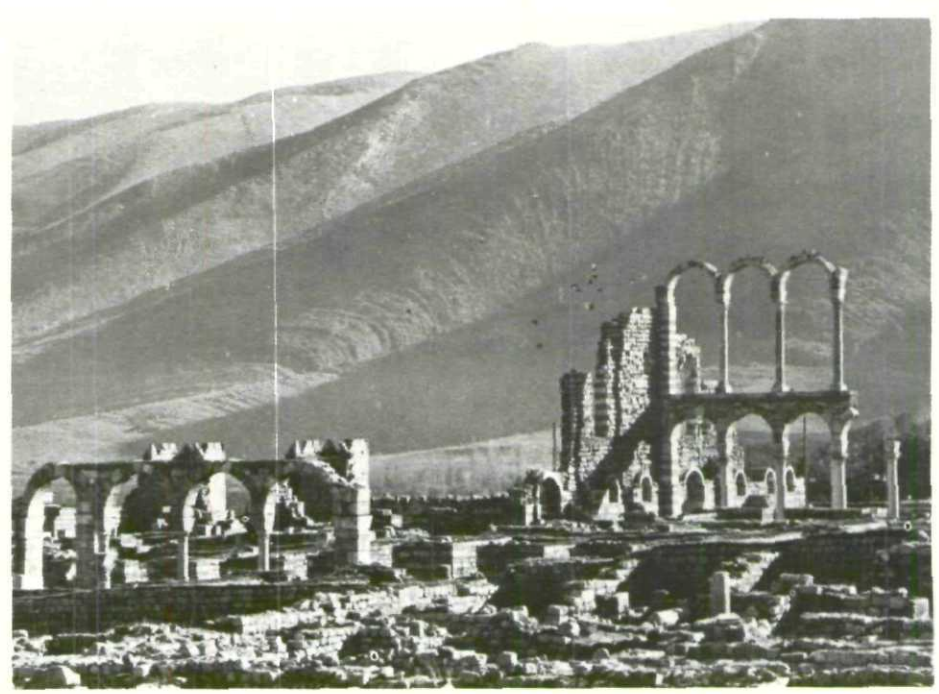
أما وجه بناء الجدران الداخلي فقد اعتمدت فيه الحجارة المقصبة من القياس المتوسط والصغير ، وقد أظهر جزئيا المدخل الجنوبي ، وعثر على حجارة ضخمة متساقطة أمام المدخل ، تتيح المجال لترميم قسم كبير منه .

بعد هذا حصرت دائرة الآثار مجهودها ضمن المساحة الموجودة داخل السور ، حيث كانت تقوم تلة صغيرة تربتها رمادية اللون ، يتخللها الرماد وشظايا الحجارة . وقد استنتج من الأعمدة الثلاثة وبعض الحجارة الكبيرة المبعثرة في هذا المكان وجود بناء قديم هام فيه . ثم اتضح لدائرة الآثار ان هذه الجدران كانت تؤلف بناء يبلغ طوله واحدا وسبعين مترا من الشمال الى الجنوب ، وعرضه ستين مترا وعشرين سنتمترا ، وتتعاقب فيه مداميك الحجارة الكلسية الحسنة التقصيب .

وفي وسط البناء دار مربعة تقريبا قياساتها ٨٠ ، ٣٢ على ٥٠ ، ٣٣ مترا ، يدخل اليها من بابين أحدهما الى الشرق والثاني الى الغرب . وقد بنيت الى جانب الجهات الأربع سلسلة من الغرف . وأمامها رواق طويل ، كما بنيت في الجهتين الشمالية والجنوبية قاعتان كبيرتان ذات حنايا .



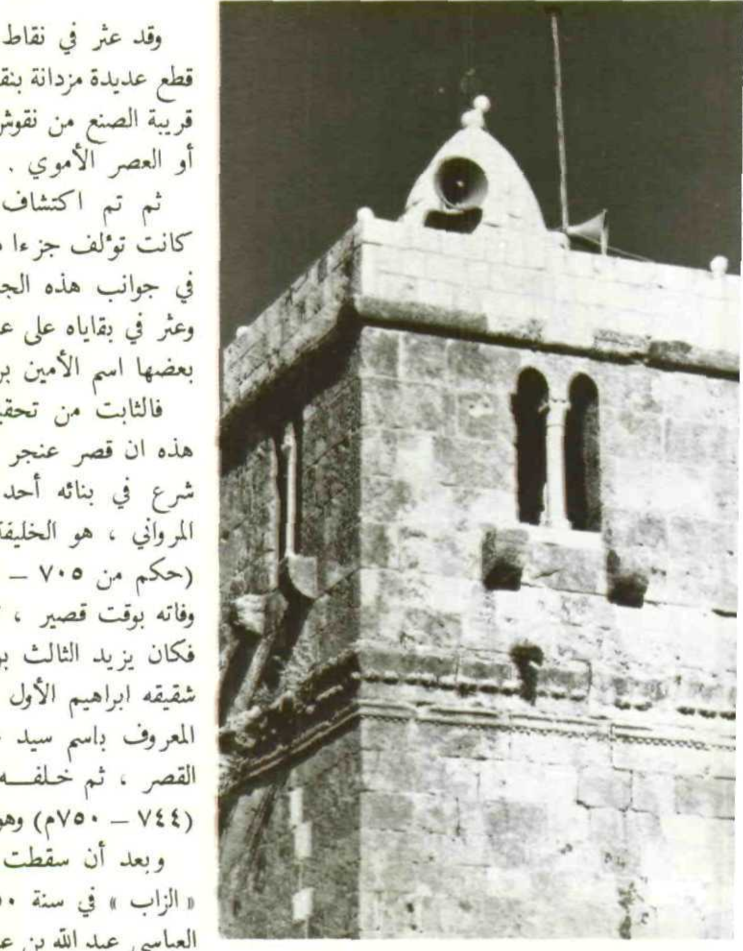
جانب من الجزء المرمم لقصر أمراء بني أمية في مجدل عنجر .



جانب آخر من أعمدة قصر أمراء بني أمية الأثري .



الجزء المرمم من القصر الأموي في عنجر ويبدو الى أقصى اليمين أحد الأعمدة البيزنطية .



مئذنة أيوبية في قرية « مجدل عنجر » يرجع عهد بنائها الى القرن الثاني عشر الميلادي .

وقد عثر في نقاط مختلفة من الحفريات على قطع عديدة مزدانة بنقوش تمثل زهيرات ونباتات ، قريبة الصنع من نقوش العصر البيزنطي المتأخر ، أو العصر الأموي .

ثم تم اكتشاف جدران أخرى طويلة ، كانت تؤلف جزءا من أبنية هامة ، وقد ظهرت في جوانب هذه الجدران آثار حريق هائل ، وعثر في بقاياه على عدد من النقود الفضية يحمل بعضها اسم الأمين بن هارون الرشيد .

فالثابت من تحقيقات دائرة الآثار اللبنانية هذه ان قصر عنجر أو قصر الحمراء اللبناني قد شرع في بنائه أحد أحفاد معاوية من الفخذ المرواني ، هو الخليفة الوليد الأول بن عبد الملك (حكم من ٧٠٥ — ٧١٥م) ، وكان ذلك قبل وفاته بوقت قصير ، ثم تعاقب الخلفاء من بعده فكان يزيد الثالث بن الوليد (٧٤٤م) ، وتبعه شقيقه ابراهيم الأول في السنة ذاتها (٧٤٤م) ، المعروف باسم سيد عنجر ، والذي أكمل بناء القصر ، ثم خلفه عمه مروان الثاني (٧٤٤ — ٧٥٠م) وهو آخر ملوك بني أمية .

وبعد أن سقطت الدولة الأموية في معركة « الزاب » في سنة ٧٥٠ ميلادية ، تلقى القائد العباسي عبد الله بن علي أمرا بتصفية سلالة الأسرة الأموية المالكة في جميع أرجاء الدولة العربية ، فشن هذا القائد هجمات متتالية مروعة على قصور الأمراء الأمويين في كل مكان ، فدك تلك القصور دكا ، وفي عدادها قصر عنجر في بقاع لبنان .

المآذنة الأيوبية

في مجدل عنجر مأذنة شهيرة يرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر الميلادي ، أي منذ أيام العزيز عماد الدين (١١٩٣ — ١١٩٨م) ، الملقب بعزيز مصر وسوريا ، ومؤسس منطقة البقاع العزيزي في لبنان .

فالمأذنة هذه مربعة الشكل ، مزينة بنقوش جميلة ، ولها تيجان ، وأربع نوافذ ، ولكل نافذة منها عمود مركزي ، مع تاجه ، الى جانب الكتابة الأيوبية . ولها قبة صغيرة ، يصلها المرء بالصعود على درج صغير ، ومنه يصل الى رواق النوافذ الأربع ، أو يصعد الى السطح بواسطة ممر حول القبة .

لقد تعرضت هذه المأذنة للانهيار سنة ١٩٥٠ ، فأنقذتها دائرة الآثار اللبنانية ، وقد تبرع الأهلون بقسم من النفقات ، ورمم ما كان متخلخلا فيها من الداخل ، وأعيد بناء القسم الأعلى منها .

مجدل عنجر

فما الذي يعنيه اسم « مجدل عنجر » ؟ .. أما مجدل فمعناها باللغات السامية « القلعة » ، نسبة الى قلعة عنجر ، أنشأها ملوك هيرودس في فلسطين وأبيلا في القرن الأول للميلاد وطمست معالمها .. وأما عنجر فهي مشتقة من اسم (عين — جر) ، أو العين الجارية ، بالنسبة الى ينبوعها . والينبوع الذي عرفت باسمه هذه البلدة تجري مياهه في أراضي عنجر الخصبة ، وتصب كلها في بركة أو حوض عنجر ، حيث تنتشر على جنباته المروج والخمائل .

وهناك طاحونة قديمة تدار بتيار قوي من مياه الحوض ، بالاضافة الى أقنية مياه عديدة تقوم فوق قناطر رومانية .

وفي منطقة حوض عنجر آثار كثيرة ، أتينا على ذكرها ، تحمل دائرة الآثار اللبنانية على الاعتقاد ان عاصمة « خلقيس » المفقودة انما كانت في هذا المكان بالذات ، وتأمل أن يتم لها اكتشافها ، مثلما اكتشفت في الماضي القريب موقع مدينة « أوغاريت » الفينيقية في « رأس شمرا » في شمال اللاذقية ■

تصوير : خليل أبو النصر

إختبار الإدراك اللاحسّي

يعنى علماء النفس هذه الأيام عناية فائقة بما يسمى « الادراك اللاحسي — Extrasensory Perception ، فقد أخذوا يجرون تجارب عديدة في عياداتهم النفسية على ظاهرة « التخاطر — Telepathy » (١) ، لما قد يلقي ذلك من ضوء على نظرية « الادراك اللاحسي » . وتعتمد هذه التجارب أولا على ملاحظة العامل المجهول الذي يربط من يقوم بدور المرسل ومن يقوم بدور المستقبل ممن يشتركون في كل عملية تخاطر . ويقول الدكتور « كارلس أوسيس » ، مدير الجمعية الأمريكية للأبحاث النفسية ، « اننا لا نعرف الا النزر القليل عن هذا العامل ، ولكننا نأمل أن نتمكن من اماطة اللثام عنه في المستقبل القريب . »

ويعتقد « أوسيس » أن جميع الانفعالات النفسية مهما كانت دقيقة ، تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية في هذا المجال . فالمرء كثيرا ما يتعرض لمثل هذه الانفعالات الدقيقة دون أن يظهر أثرها جليا عليه . ولكن لو لجأنا الى استعمال جهاز البليثيسموغراف Plethysmograph ، الخاص بقياس تغيرات حجم الدم في أصابع الأيدي والأقدام ، للكشف عن مثل هذه الانفعالات الدقيقة ، لرأينا أن حجم الدم يقل في الأطراف اثر كل انفعال ، مهما صغر ، لأنه يرتفع الى الدماغ الذي يعتبر مركز التأثر بالانفعالات .

ويستطرد الدكتور « كارلس أوسيس » قائلا : « وأبعد من ذلك أننا عندما نشغل عقولنا ، في حل مسألة حسابية مثلا ، نجد أن حجم الدم يقل في أصابعنا وأطراف أقدامنا وآذاننا وأيدينا » . وهذه ظاهرة أثبتها الدكتور « فيجار — Figar » في عام ١٩٥٩ ، وهو أحد الأطباء المختصين في وظائف الأعضاء ، وقد أثبت أيضا ، بواسطة اداة تشخيص خاصة ، ان حجم الدم في الأيدي يتقلص عندما ينظر شخص الى شخص آخر يقوم بحل مسألة حسابية .

وفي مختبر كلية « نيوارك » يقوم « دوغلاس دين » ، باجراء تجارب مماثلة بواسطة جهاز « البليثيسموغراف » ، آملا أن تؤدي تجاربه الى تطوير نظام الاتصال بالادراك اللاحسي . ويبدأ هذا الأخصائي تجاربه بأن يطلب من الشخص « المستقبل » تحضير قائمة أسماء ذات أهمية بالغة بالنسبة أليه ، ثم يعطي هذه الأسماء « للمرسل » الموجود في غرفة أخرى ، ويطلب منه قراءتها ، ثم يمزجها بأسماء أخرى ينقلها من دليل الهاتف . وأثناء ذلك يوصل « المستقبل » بجهاز التشخيص . ويظهر عند هذا الحد من التجربة ان الجهاز لا يسجل أي رد فعل للانفعال النفسي ، حتى ولو كان أحد الأسماء مألوفا « للمستقبل » ، وذلك لأن « المرسل » لا يذكر الاسم بانفعال . ويذكر « دين » أن هذه التجربة كانت ناجحة عندما أجريت على أشخاص وضعوا في غرف متجاورة تفصل بينها جدران سميكة .

ولعل نقطة الضعف في هذه التجارب تنحصر في عدم معرفة ما اذا حدث ادراك لا حسي لدى الأشخاص الذين أجريت التجربة عليهم . ففي التجارب التي أجراها « دين » كانت الآلة هي التي تدل على ذلك ، أما الشخص الذي يقرأ البيانات فانه لم تظهر عليه أية مسحة انفعالية ، لم يكن يعرف أن هذا الاسم أهم من ذلك ، أو أنه وارد في القائمة الأصلية ، أو مأخوذ من دليل الهاتف . ويؤيد بعض الباحثين ، أمثال الدكتور « أوسس » تجربة « دين » ، لأن الشخص « المستقبل » فيها يتصرف تصرفا لا شعوريا ، اذ لا يطلب اليه أن يخمن أو يفكر أو يتخيل ، بل يطلب منه الاسترخاء دون أي ابداء تصرف . وتدل النظريات الحديثة على أن حدوث الادراك اللاحسي يجري بشكل أفضل عندما تكون التجربة لا شعورية . ويأمل « دين » أن يكون بوسعه أن يحلل نتائج تجاربه بواسطة الآلات الحاسبة الالكترونية . كما أنه في صدد اجراء تجارب أكثر تعقيدا ، بغية تطوير نظام يعتمد عليه للارسال بالأساليب النفسية . واذ ذاك يمكن استبدال الأسماء المرتبة دون قصد بأسماء ترتب عن قصد بحيث تمثل « رسالة » ما .

وفي جامعة « كاليفورنيا الجنوبية » قامت السيدة « ثلما موس » بتجربة لمعرفة مدى أهمية اللاشعور في مجال الادراك اللاحسي ، وقد أجريت هذه التجربة على ٢٦ شخصا لم يكونوا على علم بهدف التجربة ، وقسموا الى مجموعتين ، كان أفراد احداهما بمثابة « مرسلين » ثم أوصل كل منهم بجهاز يسجل حرارة جسمه ونسبة افرازه للعرق ، ونبضه ، ومدى مقاومة جلده للتيار الكهربائي ، في حين أوصل أفراد المجموعة الثانية ، كل على حدة بأسلاك الجهاز من الجهة الأخرى ليكونوا بمثابة « مستقبلين » . وفي فترات منتظمة كان الفاحصون يعرضون على كل « مرسل » صورا ملونة وأصواتا مختلفة تمثل حالات تبعث في النفس شعورا خفيفا بالمرح أو الخيبة أو الخوف . وعلى أثر كل حالة كان « المرسل » يسأل عن شعوره ازاء ما شاهد أو سمع ، كما كان « المستقبل » يسأل أيضا ، ومن ثم كانت اجابتاهما تقارن بغية معرفة ما اذا كان الأشخاص الذين يعرفون بعضهم البعض قد قاموا بدور أفضل من الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم بعضا . ودلت النتائج على أن قوة الارسال كانت متساوية لدى الفئتين . فقد سجل اثنان ممن لهما علاقة ببعضهما ٢٨ نقطة من ٣٢ ، وسجل آخران ٢٣ نقطة من ٣٢ أيضا ، بينما سجل شخصان آخران ممن لا علاقة لها ببعضهما ٢٦ نقطة وآخران غيرهما ٢٣ نقطة . ومن الجدير بالذكر أن أقل نقاط أحرزت سجلها توأمان ، فقد بلغ عددها ٨ من ٣٢ نقطة ، ويعتبر ذلك مجرد صدفة . وتستنتج السيدة « موس » من ذلك ، ان بعض الأشخاص لديهم الطاقة على استقبال الانفعالات أكثر من الآخرين . ومع أنه من الصعب تحديد هذه الطاقة حاليا ، الا أنه يبدو ان العلاقة القوية بين الأفراد ليست ذات أثر فعال في هذا المجال .

هذا ، وقد تكشف للباحثين ، خلال هذه التجارب ، حالة أخرى لم تكن في واقع حسبانهم ، اذ انه عندما أبدلت أماكن جلوس « المرسل » و « المستقبل » أبدى المرسل الجديد ، بعد معرفته هدف التجربة ، فتورا لم يبده المرسل الأول الذي لم يكن يعرف الهدف . وقد أجرت السيدة « موس » مؤخرا تجربة أخرى في دراسة « التخاطر » فيما يتعلق بالأمور الانفعالية ، استنتجت من خلالها أن الانفعال القوي قد يساعد

(١) تبادل الخواطر .

على تبادل الخواطر عن بعد مع الغير . كما استنتجت أن عملية « التخاطر » تجرى بشكل أفضل عندما يثار المرسل انفعاليا في حين يكون المستقبل في حالة استرخاء تامة . وقد أجريت هذه التجربة على ٦٠ شخصا كان نصفهم بمثابة مرسلين ونصفهم الآخر بمثابة مستقبلين . وطلب اليهم جميعا أن يسترخوا ، ثم عرض على المرسلين ست صور في فترات منتظمة ، وطلب من المستقبلين تسجيل أفكارهم ازاءها . ولم تحضر السيدة « موس » لمراقبة الجلسة ، لكنها طلبت الى كاتب ، لم يسبق له أي معرفة باجراء مثل هذه التجربة ، أن يسجل لها النتائج على شريط تسجيل . وقد حدث أن كانت بعض عمليات « التخاطر » التي حصلت في هذه التجربة مباشرة وناجحة . فعندما عرض على المرسل في غرفة الاختبار منظر عن جزر الهواي كجزء من حادثة هامة ، كان المستقبل في الغرفة الثانية يشرح تأثراته كالآتي :

« أشعر بسبب ما أنني في هونولولو ، وأن الجو الذي أعيش فيه جو عطلة وراحة واستجمام . وتبدو لي أشجار النخيل والنباتات الخضراء التي أستطيع أن أتخيلها مثقلة بالزهور الزاهية . وأحس كأنني أسبح في بركة ، وأن كل شيء حولي هادىء ولطيف ومريح » . ومع ذلك ففي حالات أخرى لم يحدث أي تبادل في الخواطر بين المرسل والمستقبل على الاطلاق . وقد قال أحد المستقبلين : « لم أشعر بأي انفعال مهم » . ومهما يكن الأمر ، فان نسبة الصدفة في هذه التجربة كانت أقل من جزء واحد في الألف .

وقد اختير أثناء التجربة نفسها عشرة مستقبلين كانوا قد أخبروا مسبقا بأن لهم زملاء في الغرفة الثانية سيقومون بدور مرسلي الأفكار اليهم ، في حين لم يكن هناك مرسلون ولم يكن هناك ارسال ، ومع أن هؤلاء العشرة قد أبدوا تأثرات وخيالات وكأنهم مستقبلون حقيقيون ، الا أن تفسير ما أبدوه من تأثرات وخيالات يختلف كثيرا عما أبداه المستقبلون الحقيقيون . وقد استنتجت السيدة « موس » من تجربتها هذه ان ظاهرة « تبادل الخواطر والأفكار » تبدو وكأنها حقيقية موجودة ، وان كان لا يتوفر بعد شرح لكيفية حدوث ظاهرة الارسال .

هل يمكن تعليم الادراك اللاحسي؟

يقوم الدكتور « تشارلس تارت » ، من جامعة « فرجينيا » الأمريكية ، بدراسة امكانات تعليم ظاهرة « الادراك اللاحسي » ، وقد طور جهازا خاصا لذلك يشبه من الناحية الأساسية « آلة التعليم » .

وفي الواقع أن فكرة تدريس هذا الموضوع ليست بجديدة ، اذ قام قبل ذلك الدكتور « جون بلوف » ، من جامعة « ايدنبرغ » في سكوتلاندا ، باجراء تجربتين في هذا المجال ، حاول في احداهما تعليم بعض المواضيع بواسطة التنويم المغناطيسي ، ولكن نتائجها لم تكن مرضية . وحاول في الأخرى اتباع أسلوب المناولة اليدوية بواسطة الشخص نفسه . وتتم هذه الطريقة على خطوات تبدأ باحداث التوترات والتخيلات لدى الأشخاص ، فكان يعرض على المتعلمين خيالات معينة ، ويطلب اليهم أن يبذلوا جهودا واعية حتى يكونوا أقرب ما يكون الى حالة اللاشعور ، تمهيدا لتلقينهم المعلومات المراد تعليمها ، وما تزال هذه التجربة قائمة حاليا ، وربما تظهر نتائجها في وقت لاحق .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يقوم الدكتور « جيذر برات » ، من جامعة فرجينيا ، بدراسة لمعرفة الكثير عن الظواهر الطبيعية المعيقة للادراك اللاحسي . وقد استعان بجميع البحوث والنتائج التي توصل اليها الآخرون ، بما في ذلك بحث الدكتور « أوسس » الذي حدد فيه علاقة المسافة بالادراك اللاحسي ، والذي نوه فيه بان كل الطاقات المعروفة تتناقص كلما تمددت في الفضاء ، وان هذا شأن الادراك اللاحسي أيضا .

ويقول « برات » انه بالتعاون مع نفر من المختصين من جمعية الأبحاث النفسية الأمريكية يقوم بمحاولة لمعرفة مدى تأثير المسافة على الادراك اللاحسي ، وماهية الطاقة التي تربط بين الشخص المرسل والشخص المستقبل ، وكيفية قياسها.

وبالاضافة الى ذلك قام الدكتور « أوسس » ، بالتعاون مع الجمعية الفلندية للأبحاث النفسية ، بدراسة علاقة المسافة والوقت في هذه الظاهرة ، واستنتج ان الفحوص التي أجريت في « فنلندة » لم تظهر أي علاقة بين المسافة والوقت ، غير انه لم يستطع تحديد ذلك بالضبط ، لأنه لا بد من اجراء المزيد من التجارب لتحديد ذلك .

وهناك مجموعة أخرى من الباحثين في « مختبر دراسة الأحلام » بالمركز الطبي في مدينة « بروكلن » تجري دراسة حول العلاقة بين ظاهرة الادراك اللاحسي والأحلام ، ولكن دراستهم تلك لم تنته ولم تعرف نتائجها بعد .

ومن ناحية أخرى تجري محاولة لتصنيف خيالات مرسلة لأشياء معينة زاهية اللون ، كما تجري محاولة أخرى للبحث عن طرق مختلفة للاستقبال اللاحسي والاسترخاء والتركيز على خيال معين ، وغير ذلك مما يتعلق بظاهرة « الادراك اللاحسي » .

وبالاضافة الى ذلك ، يعكف بعض العلماء المختصين على دراسة العلاقة بين الابداع والادراك اللاحسي . وقد خرج أحدهم بنتائج نحو ٥٧٩ حالة حللت بواسطة الآلة الحاسبة الالكترونية ، من أصل ٧٠٠ حالة ، بيد انها ما تزال تفتقر الى المزيد من الدراسات بواسطة الآلة الحاسبة وأساليب علم الاحصاء .

ويقول الدكتور « أوسس » : « انه لا توجد طريقة عملية سهلة التطبيق تبرز ظاهرة الادراك اللاحسي » ابرازا تاما ، وان الهدف من كل هذه التجارب هو توضيح الظواهر المتعلقة بها لمعرفة مدى تأثير العوامل المختلفة على هذه الظاهرة وتفهمها بشكل أفضل » ■

عن مجلة « ساينس دايجست »

اعداد : عيسى مسلم

أحد الأشخاص الذين أجريت عليهم ظاهرة « التخاطر » ، بواسطة جهاز « البليثيسموغراف » الخاص بقياس تغيرات حجم الدم في أصابع الأيدي والأقدام ، في مختبر تابع لجامعة « نيوارك » الأمريكية ، في محاولة لتطوير الاتصال بالادراك الحسي .



الغازُ الطبيعيُ ووَسَائل الانتِفَاعِ بهُ

يمر الزيت الخام لدى تدفقه من حقول الزيت بمعامل لفرز الغاز منه .. ويظهر في الصورة معمل لفرز الغاز من الزيت في منطقة [illegible]

يعتبر الغاز الطبيعي من مصادر الثروة الطبيعية الهامة بعد الزيت الخام بوصفه موردا من موارد الطاقة ودعامة أساسية للصناعات البتروكيماوية . وتزداد أهميته بازدياد الطلب عليه ، وتعدد أوجه استعمالاته الصناعية . والمملكة العربية السعودية التي حباها الله بهذه الثروة الطبيعية تختزن أرضها كميات هائلة منه ، يجري الآن استغلال جزء منها في مشاريع حيوية في المنطقة الشرقية من المملكة ، كتوليد الطاقة الكهربائية ، وصناعة الاسمنت ، والجص ، والأسمدة الكيماوية . ويتوقع قيام صناعة جديدة تعتمد على الغاز الطبيعي ، هي صناعة الكبريت الخام وحامض الكبريتيك .

يستخرج الغاز الطبيعي في المملكة العربية السعودية من باطن الأرض مصحوبا بالزيت الخام ، اذ يكون الغاز ذائبا فيه تحت ضغط مكمن الزيت وعلى درجة حرارته ، ويطلق عليه في هذه الحالة « الغاز المذاب » . وعندما يستخرج الزيت الخام من مكامنه الى سطح الأرض لا بد من فرز الغاز منه ، قبل نقله في خطوط الأنابيب الى معامل التكرير أو الى مرافق الشحن . وتتم هذه العملية في معامل تعرف باسم « معامل فرز الغاز من الزيت » ، وذلك عن طريق تخفيض مستوى ضغط مزيج الزيت والغاز تدريجيا الى أن يعادل مستوى الضغط الجوي ، ويتألف المعمل في الغالب من ثلاثة صهاريج ضخمة تحفظ تحت مستويات مختلفة من الضغط تسمح للغاز بالانطلاق مرحلة بعد مرحلة . ويشكل هذا الغاز الذائب أهمية بالغة بالنسبة للحقول التي يتدفق منها الزيت الخام تلقائيا لكونه عنصرا أساسيا في دفع الزيت من مكامنه الى سطح الأرض .

وقد يكتشف وجود الغاز الطبيعي من مكامن لا تحتوي على الزيت ، وفي هذه الأحوال يكون الغاز تحت ضغط معين ، ويمكن اخراجه الى سطح الأرض بحفر آبار تصل الى هذه المكامن ، ويعرف الغاز الطبيعي المستخرج من تلك الآبار « بالغاز غير المذاب » .

ان للغاز الطبيعي المذاب في الزيت خصائص اقتصادية ، اذ يعتمد انتاجه بصورة عامة ، على كميات الزيت الخام المنتجة من الآبار .. فيتحتم انتاج الغاز عند انتاج الزيت . لذلك فقد تصاحب انتاج الغاز الطبيعي المذاب أحيانا بعض المشاكل ، اذ لا بد من تصريفه بوسيلة تعتمد الى حد كبير على الأغراض التي يستعمل من أجلها ، والتي تقررها عوامل كثيرة ، منها : بعد البلد أو قربه من مصادر الغاز ، وتوفر أسواق الاستهلاك ، وسهولة النقل أو صعوبته . لذا كانت أوجه استعمال الغاز الطبيعي وطرق الانتفاع به تختلف بين بلد وآخر . وتجدر الاشارة هنا الى أنه في البلدان المنتجة له تتناسب كميات الغاز المستهلكة محليا تناسبا طرديا مع التنمية الصناعية ، فكلما اتسع المجال لقيام صناعات تعتمد على الغاز ، تعددت طرق الاستفادة منه .

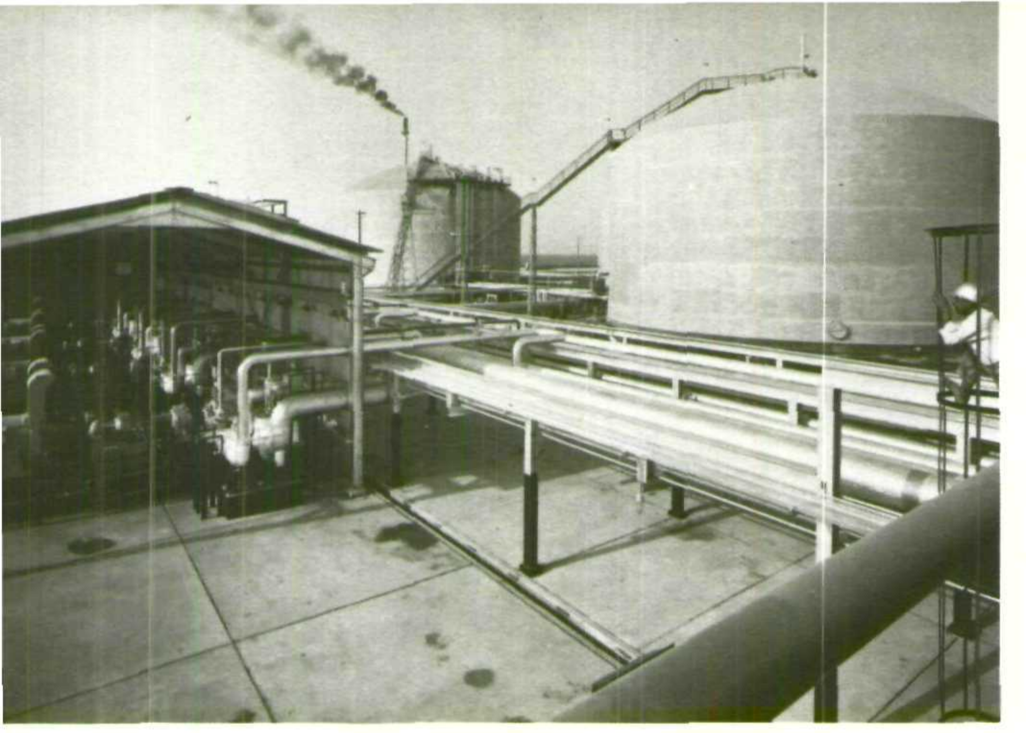
ومن بين الوسائل النافعة لتصريف الغاز الطبيعي واستغلاله هو حقنه في مكامن الزيت



محطة توليد القوى الكهربائية في مقاطعة الظهران « دبكو » تدور طربيناتها بالغاز الطبيعي . والأنبوب الضخم ، الذي يبدو في مقدمة الصورة ، ينقل الغاز الطبيعي من أحد معامل فرز الغاز من الزيت الى المحطة .

الخام بغية المحافظة على مستوى الضغط الداخلي فيها ، وذلك لرفع الطاقة على انتاج الزيت الخام . وفي الوقت ذاته يجري خزن هذا الغاز للانتفاع به في المستقبل في أغراض أخرى متنوعة تفي بكثير من حاجات العصر ومقتضياته . ويتوقف مقدار ما يحقن من الغاز على أمور فنية محضة تتعلق بخصائص المكمن نفسه . أما الكميات الفائضة من الغاز الطبيعي فلا مفر أحيانا من حرقها ، والتخلص منها لاحتوائها في أغلب الأحيان على غاز « كبريتيد الهيدروجين » السام ولكونها تشكل أخطارا لا يستهان بها ومما لا شك فيه انه عندما تتوفر منافذ الاستهلاك فان هذه الكميات الفائضة من الغاز تأخذ في النقصان تدريجيا .

أما الغاز الطبيعي المستخرج من حقول الغاز فان مشاكله أقل نسبيا من الغاز المذاب في الزيت لأن معالجته أقل تعقيدا ، اذ أنه يمكن التحكم في الكميات المنتجة منه حسب الاختيار .



جانب من معمل غاز البترول السائل في رأس تنورة حيث يتعرض الغاز لمراحل دقيقة من المعالجة ، ويبدو في الصورة اثنان من خزانات غاز البترول السائل .

تركيب الغاز وخواصه

يحتوي الغاز الطبيعي بصورة عامة على ما لا يقل عن ٩٥ في المائة من المواد الهيدروكربونية ، بالاضافة الى ٥ في المائة من النيتروجين وثاني أوكسيد الكربون ، تصحبهما في بعض الأحيان نسبة ضئيلة من كبريتيد الهيدروجين . والمادة الهيدروكربونية الرئيسية في الغاز الطبيعي هي غاز الميثان ، الذي يتميز بأنه أخف البارافينات الهيدروكربونية وأقلها درجة غليان . أما البارافينات الأخرى التي تتميز بدرجة غليان أعلى نسبيا ، وهي الايثان ، والبروبان ، والبوتان ، فانها توجد بنسب متفاوتة .

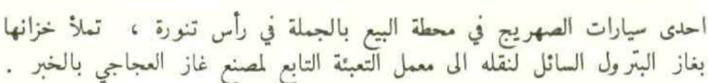
ويتطلب تحويل غازي الميثان والايثان ، وهما أخف العناصر التي يتكون منها الغاز الطبيعي ، الى حالة السيولة ضغطا عاليا جدا أو درجة حرارة منخفضة جدا أو كلا الأمرين معا . بينما يمكن فصل عنصري البروبان والبوتان ، وهما أثقل عناصر الغاز الطبيعي ، عن المركبين الآخرين وحفظهما في حالة السيولة تحت ضغط معين في الأحوال العادية من الحرارة الجوية ، فيعرفان عندئذ « بغاز البترول السائل » .

وهناك طريقتان رئيسيتان للانتفاع بالغاز الطبيعي ، وذلك باستعماله كمصدر للطاقة ، وكمصدر خام للمواد الكيماوية . وللغاز ، باعتباره مصدرا للطاقة ، خصائص عدة ، اذ يمكن



ينقل غاز البترول السائل المبرد بواسطة ناقلات خاصة يجري تصميمها وفق مواصفات معينة ، منها هذه الناقلة اليابانية « جوشو مارو » التي تبدو هنا لدى تحميلها بغاز البترول السائل المبرد من فرضة رأس تنورة .




احدى سيارات الصهريج في محطة البيع بالجملة في رأس تنورة ، تملأ خزانها بغاز البترول السائل لنقله الى معمل التعبئة التابع لمصنع غاز العجاجي بالخبر .


اللدائن من منتجات الغاز الطبيعي العديدة ، وتبدو هنا مجموعة من الأدوات المنزلية المصنوعة من البلاستيك . والتي يجري تصنيعها في الرياض .

توزيعه بالأنابيب مباشرة على أماكن الاستهلاك ، دون أن يتكلف المستهلكون مشقة خزنه ونقله ، يضاف الى ذلك أنه يحترق احتراقا كاملا فلا يخلف رواسب ، مما يجعل استعماله في الأغراض المنزلية ، وبعض الأغراض الصناعية مقبولا ومرغوبا فيه نظرا لسهولة التحكم فيه .

والغاز الطبيعي ، كمصدر خام للمواد الكيماوية مرغوب فيه لمرونته العالية . وقد ساعدت وسائل الهندسة الكيماوية الحديثة على اشتقاق آلاف المنتجات من الغاز الطبيعي ، وذلك بمزجه بمواد أخرى ، أو تحليله واعادة ترتيب أجزائه . والغاز الطبيعي ، بعد تحويله الى سائل قابل للتمدد والضغط ، مناسب جدا للعمليات الكيماوية التي تحتاج الى مورد ضخم من المواد الخام ، مع الأخذ بعين الاعتبار التكاليف المترتبة عليه .

غاز البترول السائل

يستعمل غاز البترول السائل ، وخاصة مركبات البروبان والبوتان المسالان تحت ضغط منخفض ، على نطاق واسع في أغراض الطهو ، وتسخين المياه والتدفئة ، وتكييف الهواء ، والتبريد ، والانارة . وقد أصبح في الآونة الأخيرة يقوم شيئا فشيئا مقام الأستيلين ، فصار يستعمل مع الأوكسجين في أغراض قص الفولاذ ، والتنظيف باللهب ، واللحام بالنحاس ، ولحام المعادن .

وقد كانت شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » هي أول شركة تصدر غاز البترول السائل بالشرق الأوسط . وقد عكفت منذ أوائل الخمسينات ، نتيجة لازدياد الحاجة اليه وخصوصا في البلدان الصناعية النائية كاليابان وغيرها ، على اجراء دراسات متواصلة بغية تحقيق فكرة انشاء مرافق خاصة لانتاج هذا الغاز بكميات تجارية ، وأخرى لتحميله وشحنه في ناقلات خاصة بـه .

وفي عام ١٩٥٩ ، وبعد انقضاء نحو ست سنوات من الدراسة المستمرة ، بوشر بانشاء معمل لانتاج غاز البترول السائل في معمل التكرير برأس تنورة بطاقة انتاجية مقدارها ٢٠٠٠ برميل من مركب البوتان ، و ١٥٠٠ برميل من مركب البروبان يوميا . وفي عام ١٩٦٣ بدىء بارسال ما تنتجه مرافق استخلاص الغاز الخام في منطقة بقيق عبر خط أنابيب خاص الى معمل انتاج غازي البروبان والبوتان في رأس تنورة لاجراء المزيد من مراحل المعالجة ، ثم الى تبريده بعد ذلك ، ونتيجة لتوسيع مرافق التبريد أصبحت طاقة مرافق الشركة لانتاج الغاز وتصنيعه نحو ١٢٠٠٠ برميل يوميا .

وفي نهاية عام ١٩٦٤ ارتفع الانتاج الى ١٨٥٠٠ برميل يوميا . وبحلول عام ١٩٦٧ أنجزت « أرامكو » انشاء معمل آخر لاستخلاص الغاز الخام « Compressor Plant » في منطقة بقيق ، كما أنجزت انشاء معمل جديد لانتاج غاز البترول السائل في منطقة رأس تنورة الى جانب المعمل السابق ، وبذلك بلغ انتاج الشركة من هذه المادة نحو ٣٥٠٠٠ برميل يوميا . وفي عام ١٩٦٨ ارتفع الانتاج الى نحو ٤٠٠٠٠ برميل نتيجة لازدياد نسبة غاز البروبان المستخلص في منطقة بقيق ، ولبعض التعديلات والتحسينات التي أدخلت على عملية التصنيع ذاتها . ثم ما لبثت الشركة أن أنشأت معملا ثالثا لاستخلاص الغاز الخام في منطقة بقيق ليتم تصنيعه في معملي غاز البترول السائل في رأس تنورة ، وقد تم انجازه

وتشغيله في أكتوبر ١٩٦٩ ، مما أدى الى رفع الطاقة على انتاج غاز البترول السائل الى نحو ٥١٠٠٠ برميل يوميا .

لقد ازداد الطلب على غاز البترول السائل ازديادا مطردا في السنوات العشر الأخيرة ، مما حدا بشركات الزيت العالمية الى صنع ناقلات خاصة بغاز البترول السائل المبرد ، وأخرى لنقل غاز الميثان والايثان ، وفق مواصفات دقيقة .

دور الغاز الطبيعي في صناعة البتروكيماويات الحديثة

تستعمل صناعة البتروكيماويات الغاز الطبيعي كلقيم لانتاج مختلف المواد الكيماوية . ولما كان هذا الغاز يتألف في معظمه من مركب الميثان والايثان ، فانه غير قابل للتفاعل الكيماوي نسبيا . على أنه يستعمل في تركيب اللدائن والمواد المبيدة للأعشاب وغيرها . بيد أن فائدته الكيماوية الرئيسية تكمن في أنه مصدر للهيدروجين الذي يشكل احدى المواد الخام الرئيسية التي تقوم عليها صناعة البتروكيماويات الحديثة التي تعد بالآلاف ، وتدخل في كل مجال من مجالات الحياة تقريبا . ويستعين الكيماويون لاشتقاق مواد كيماوية جديدة من الغاز الطبيعي بطرق شتى ، منها : التكسير ، والخلط ، والتقليب ، والتفاعل مع مواد كيماوية أخرى ، بالحرارة ، وبذلك يمكن استخدام الهيدروجين لتحويل المواد الدهنية ، والمواد العطرية ، والمواد غير العضوية الى منتجات نافعة .

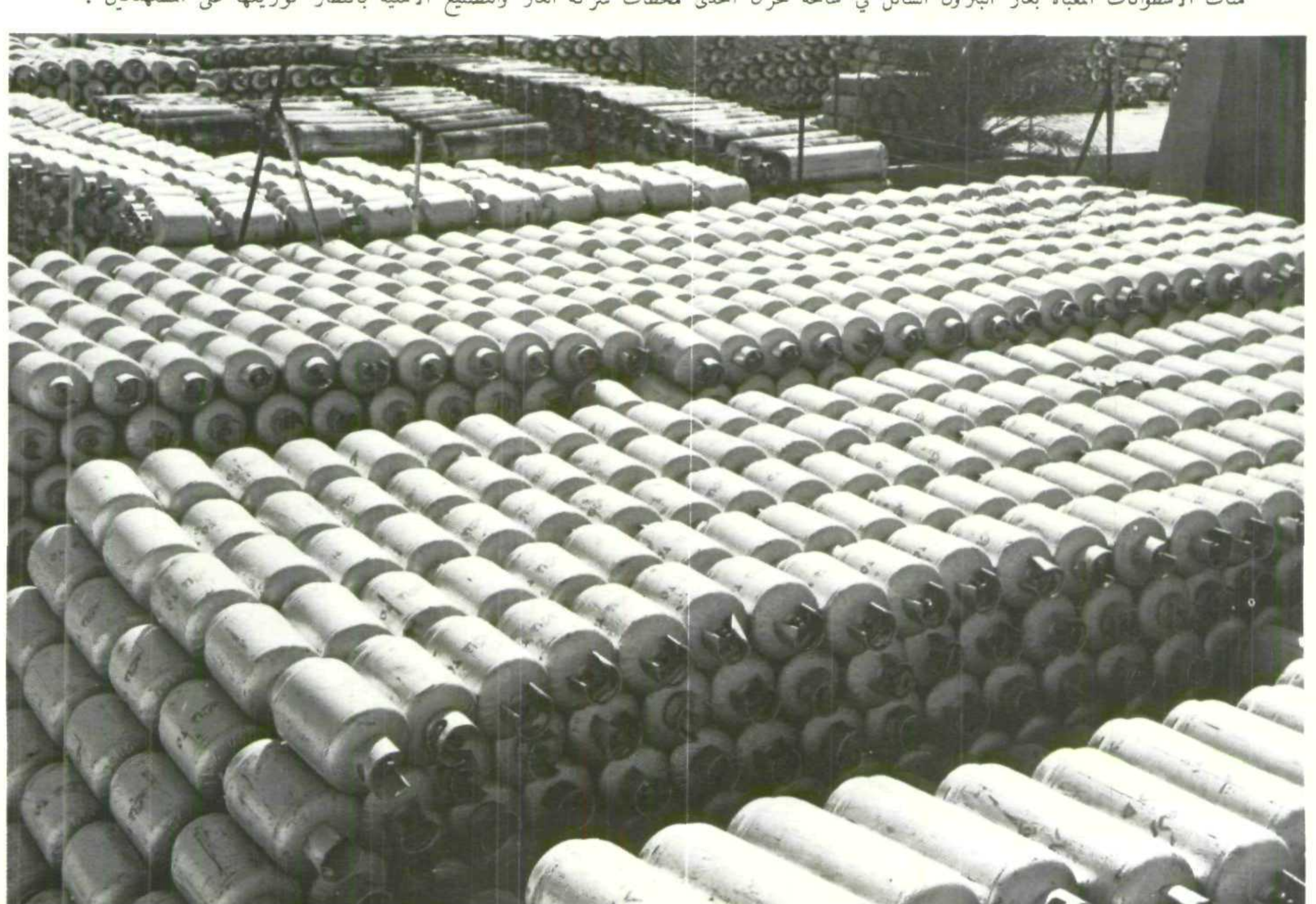
الأستيلين : وهو من المواد التي يمكن انتاجها من الايثان الموجود في الغاز الطبيعي ، على سبيل المثال لا الحصر ، ويتم انتاجه بواسطة استخدام الوسيط الكيماوي أو التكسير الحراري ، وهنالك عدة مواد يجري تركيبها من الاستيلين ، وأهمها مواد كيماوية تستعمل في صنع خيوط النسيج الاصطناعية .

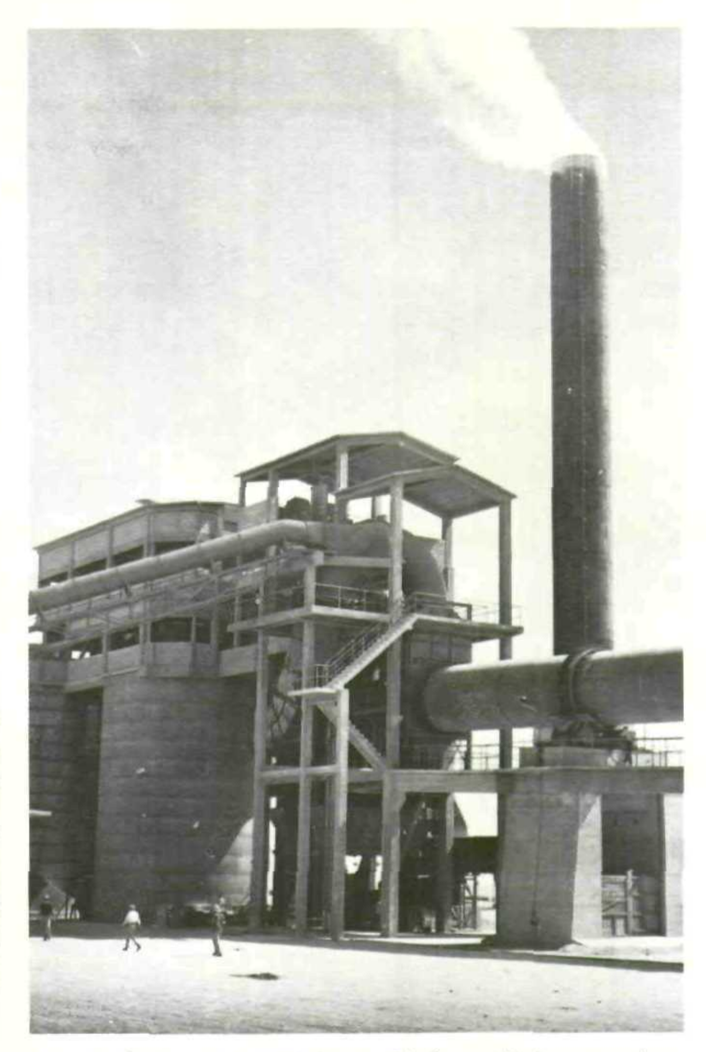
النشادر : ويصنع بالتفاعل المباشر بين عنصري الهيدروجين والنيتروجين على ضغط مرتفع ، وباستخدام وسيط كيماوي . ويستعمل القسم الأكبر من النشادر في انتاج الأسمدة النيتروجينية ، كاليوريا . كما يدخل النشادر في صناعات عديدة أخرى ، كالنسيج ، والمطاط ، والورق ، والراتنجات الاصطناعية ، واللدائن ، والمتفجرات ، وغيرها .

أسود الكربون : ويتم انتاجه من اللهب المتفحم الناتج عن احتراق الغاز الطبيعي مع قدر يسير من الهواء احتراقا كاملا داخل فرن تتراوح درجة حرارته بين ٢٢٠٠ درجة و ٢٥٠٠ درجة فرنهايت ، وعندها يبرد الغاز الساخن المنطلق من الفرن بتمريره على سطوح باردة ؛ ثم يمر في جهاز ترسيب كهربائي ساكن ، حيث يستخرج الكربون الأسود . ويستعمل أسود الكربون في صناعات عديدة ، أهمها استعماله كصباغ في حبر الطباعة وفي تقوية المطاط المعد لصناعة الاطارات .

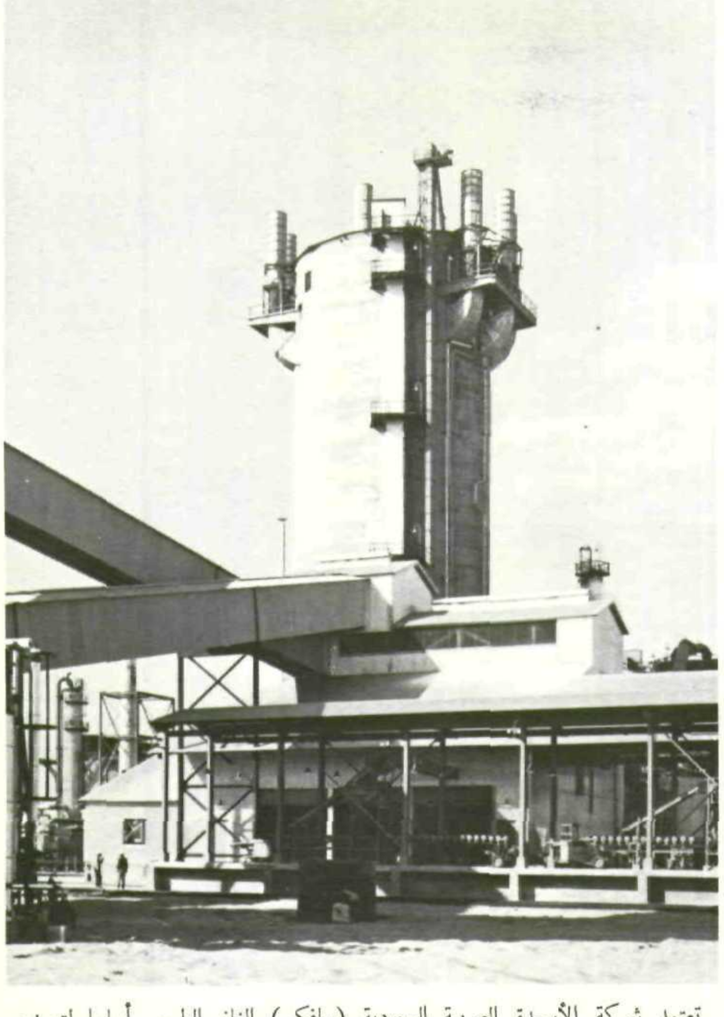
الكبريت : يوجد كبريتيد الهيدروجين بكميات وافرة في الغاز الطبيعي ، ويحول الى كبريت بواسطة احتراق جزئي مع الهواء ، مع استعمال « البوكسيت » كوسيط يساعد على عملية التفاعل .

مئات الأسطوانات المعبأة بغاز البترول السائل في ساحة خزن احدى محطات شركة الغاز والتصنيع الاهلية بانتظار توزيعها على المستهلكين .





جانب من معمل الاسمنت في الهفوف بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، وهو يتزود بالغاز الطبيعي الذي تنتجه أرامكو كوقود لتشغيل أفرانه الضخمة .



تعتمد شركة الأسمدة العربية السعودية (سافكو) الغاز الطبيعي أساسا لتصنيع منتجاتها . وهي تستهلك منه نحو (٦٠) مليون قدم مكعب يوميا يردها من معمل فرز الغاز من الزيت في بقيق .

تصوير : **برنت مودي ، وسعيد الغامدي ، وعبد اللطيف يوسف ، وشيخ أمين**

ثم يجري تكثيف بخار الكبريت ، وبالتالي تجميده وتكسيره الى قطع تمهيدا لشحنه .

مشتقات الايثان والأثيلين : وتستعمل هذه المشتقات في الغالب كمذيبات ، كما تدخل في تركيب مواد الدهان والتلميع ، وكذلك في صنع الراتنجات ، كما تستعمل كمواد مرطبة في مستحضرات التجميل ، وفي انتاج السيلوفان ، ومبيدات الحشرات والأعشاب والآفات والأمراض الفطرية والديدان ، والمواد المقاومة للتآكل .

وبعد ، فقد أخذت المملكة العربية السعودية بالاستفادة من هذا المورد الطبيعي الهام ، فقامت المؤسسات التي تعنى بضغط الغاز في أسطوانات خاصة وتوفيره كوقود ، كما أخذت كثير من المؤسسات الصناعية بالاعتماد عليه كمصدر للطاقة منها : شركة كهرباء مقاطعة الظهران (دبكو) ، ومصنع الاسمنت بالهفوف ، وغيرهما . كما قامت صناعة بتروكيماوية متكاملة تعتمد على الغاز الطبيعي كمادة أساسية لها ، وهي صناعة الأسمدة التي تنتجها شركة الأسمدة العربية السعودية (سافكو) . وتعتبر هذه الشركة أول مشروع وطني تتولى بترومين تنفيذه مع القطاع الخاص في المملكة العربية السعودية . ويحتوي المصنع على عدد من الوحدات أهمها : وحدة فصل الكبريت عن الغاز ، وتنتج يوميا نحو ٣٥ طنا من الكبريت الخام ، ووحدة الأمونيا ، وتنتج يوميا ما معدله ٦٠٠ طن من الأمونيا ، ووحدة (اليوريا) وتنتج ما مقداره ١١٠٠ طن من سماد اليوريا يوميا ، وتعتبر هذه الوحدة من أكبر وحدات انتاج اليوريا في العالم . وتقوم شركة الزيت العربية الأمريكية « أرامكو » بتزويد هذا المصنع بما مقداره ستون مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي يوميا من معمل فرز الغاز من الزيت في منطقة بقيق . كما ستقوم في المستقبل بتزويد « معمل تحلية مياه البحر » الذي بوشر في انشائه مؤخرا في العزيزية على مقربة من مدينة الخبر على الساحل الغربي للخليج العربي بنحو ١٥ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي يوميا . وبالاضافة الى ذلك يتوقع أن يبدأ العمل قريبا في اشادة مصانع أخرى لانتاج حامض الكبريتيك والكبريت الخام تعتمد على الغاز الطبيعي كمادة أساسية لها . ومن المتوقع أن يستغل مصنع الكبريت الخام حوالي ٥٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي سنويا ■

سليمان نصر الله

المنشىء المهجري «نظير زيتون»

بقلم الاستاذ وديع فلسطين

دار وفاة الأديب المهجري نظير زيتون، بوصفه ركنا ركينا في الأدب المهجري يذكر بأن شمس المهجر التي كانت باهرة السطوع مؤذنة بمغيب قريب بعدما تخطف الموت جمهرة من أعلام ذلك الأدب في الشمال الأمريكي وفي الجنوب، دون أن ينهض جيل جديد يخلفهم في أداء رسالتهم في ما ترامى من مغترباتهم.

ففي الثاني والعشرين من يوليو ١٩٦٧ فاضت روح نظير زيتون في مسقط رأسه «حمص»، وكانت علة اليرقان قد استقوت عليه وأوهنت بنيته المتينة، فمات عن واحد وسبعين عاما، خدم خلالها العربية وآدابها. وحسبه شرفا عضوية المجمعين اللغويين في القاهرة ودمشق، وعضوية المجلس الأعلى للفنون والآداب في سورية وعضوية طائفة غير قليلة من جمعيات الخير والبر في المهجر والوطن.

كان نظير زيتون في الثامنة عشرة من عمره عندما غادر بلاده مصوبا نحو البرازيل، تداعبه أحلام المجد والثراء، وان تكن عدته قليلة وحظه من التعليم شديد التواضع، لا يعدو أطرافا من المعارف واللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتركية لقفها في مدارس حمص. وكان من أساتذته البارزين فيها «حنا خباز» مترجم كتاب «جمهورية أفلاطون». بيد أنه في حداثته كان على نباهة بين أقرانه الطلاب حدت بادارة المدرسة الى اختياره لالقاء الخطب باسم زملائه في المناسبات والحفلات المدرسية والزيارات المهمة.

ولدى وصوله الى البرازيل انصرف كغيره من المهاجرين الجدد الى مزاولة عروض التجارة، يحمل صنوفا من السلع في تلافيف فوق ظهره يطوف بها أرجاء البلاد مروجا للسلعة مستدرا الكسب. ولكنه لم يلبث حتى أدرك أن نفسه تجفو هذه الصنعة، فاستدبرها مؤثرا العمل في متجر كاتبا للحسابات. وكان في سويعات فراغه يدمن القراءة ويواصل الصحف العربية في المهجر وفي حمص بكتاباته الأدبية والاجتماعية كأديب هاو متطوع حر.

لكن حياته جميعا تحولت الى الأدب منذ ما اتصل حبل الود بينه وبين العلامة اللغوي «رشيد عطية» في عام ١٩٢٦، وهو من علماء الضاد الأفذاذ، وله معجم مشهور يحمل اسمه، كما أن له شرحا لديوان البحتري، وكتابا في قواعد الاعراب يقع في ستة أجزاء، كما أنه حقق مقدمة ابن خلدون. وكان «رشيد عطية» يصدر في البرازيل جريدة عنوانها «فتى لبنان»، فاختار «نظير زيتون» ليتولى تحريرها في تلك السنة، وهنا انطلق الربان الماهر بسفينته يجوب بحار الأدب والعلم والفكر. فهو كاتب الجريدة ومحررها الأدبي ومعلقها السياسي وناقدها الأول. ولا عجب أن تحتشد على صفحاتها أقلام كتاب المهجر وشعرائه، وتكون لهم ميدانا أصيلا يتبارون فيه.

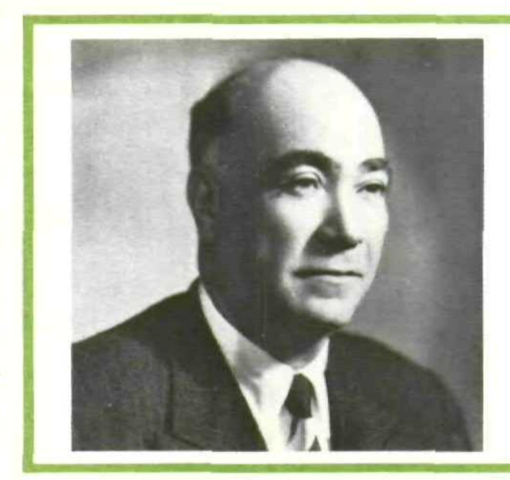
وفي الوقت عينه، انخرط نظير زيتون في عضوية الهيئات العربية الأدبية والاجتماعية المختلفة في المهجر، فانضمّ الى «العصبة الأندلسية» وشارك في تحرير مجلتها الأنيقة المشهورة، واختير خطيبا للنادي الحمصي. وكان قاسما في جميع الأندية السورية اللبنانية، كما كانت له حفاوة خاصة بجمعيات البر ورعاية الأيتام ومصحات المرضى.

وفي عام ١٩٤٢، وكانت الحرب العالمية الثانية في أوجها، احتجبت جريدة «فتى لبنان» نزولا على قرار يحظر في زمن الحرب صدور صحف بلغى أجنبية في البرازيل. وظل «نظير زيتون» يتابع نشاطه الفكري في البرازيل الى أن قرر في أخريات عام ١٩٥٠ العودة الى حمص تلبية للنداءات المتكررة من أمه الحبيبة التي سمته باسمها، فرافق شيخوختها وأكرم أمومتها الى أن توفيت قبله بسنوات ست.

ولنظير زيتون طائفة كبيرة من الكتب المترجمة تتناول موضوعاتها التاريخ والأدب الروائي والتراجم. كما أن له طائفة غيرها من الكتب الموضوعة في الأخلاق والرواية والسير. أما دراساته الأدبية فقليل منها منشور وأغلبها قد قعدت به وسائل النشر، فبقي مطويا يترقب خطوة جادة لاخراجه.

وفي اعتقادي أن أهم ما كتبه «نظير زيتون» هو دراساته المتبحرة في أدب المهجر وأدبائه الذين عرفهم واحدا واحدا، وعرف من حياتهم الخاصة ومن ضنائنهم الأثيرة ما لم يتح لغيره. وكتاباته في هذا المجال تملأ مجلدات ضخاما لو قدّر لها أن تخرج للناس، لا سيما وقد كانت لنظير زيتون مشاركة كاملة في كل معركة أدبية اضطرمت نارها في المهجر أو حول أدب المهجر. ونذكر منها على سبيل المثال المعركة التي أشعل أوارها الشاعر الكبير «عزيز أباظة»، والمعركة التي نشبت بين الشاعر «جورج صيدح» والصحفية «مريانا دعبول فاخوري» محررة مجلة «المراحل» في البرازيل حول طبقات أدباء المهجر. وكذلك المعركة التي بدأها الشاعر أمين نخلة باستخفافه بأدب جبران خليل جبران. ولم يكن موقف «نظير زيتون» في هذه المعارك موقف المتعصب الذي تعميه الحماسة عن الحق وقواعد الذوق، بل كان موقفه الدفاع بشرف عن عقيدة مترسبة في قرارة نفسه، والانتصار لرأي له في المنطق وفي الذوق أسناد وأركان.

أما الأسلوب الذي أُثِرَ عن «نظير زيتون» فهو السجع المترسل الطويل النفس، فتملأ السجعة الواحدة صفحات برأسها على نحو فريد، ولا سيما في أيامنا هذه. ولما عيب هذا الأسلوب



عليه بدعوى أنه يمثل عصرا في الكتابة قديما بل دارسا ، ردّ على ناقديه قائلا : « السجع لون عربي أصيل عريق . عرفه العرب في الجاهلية والاسلام وعصوره المتأخرة . يكفي أن نذكر القرآن الكريم لتتجلى لنا روعة السجع ووقعه الأخاذ . والسجع كما أفهمه وأزاوله ، منزلة بين النثر والشعر . والنثر العادي الدارج ، أو اذا شئت سمه النثر الصحفي ، سهل المنال خفيف الأحمال واسع المجال ميسور الوصال يجري هيّنا على كل قلم . والسجع الذي ألتزمه أحيانا وفي موضوعات معينة يختلف كل الاختلاف عن سجع المقامات ، حيث لا تتعدى الواحدة فقرتين أو ثلاثا بمعنى واحد تقريبا . أما أسلوبي في السجع ، فيقفز في السجعة الواحدة الى عشر فقرات أو أكثر ، ولكل فقرة انطلاقة ، ولكل فقرة اشراقة ، ولهذه حلاوة ، ولأخرى طلاوة في تناغم وايقاع » . ثم يقول : « ولا أعرف كاتبا مارس هذا الأسلوب في سجعاته ، ولعلّه طراز فني جديد في أدبنا الحديث ، وان كان كثيرون يمقتون السجع ويعدّونه من مخلفات العهد البائد لما فيه من حشو وتكلف يبعدانه عن الابداع . فالسجع منزلة بين النثر والشعر ، وأنا لا أستطيع أن أرتفع الى الشعر — لا النظم — لأعبر عن أفكاري وأحاسيس نفسي ، ولا أرضى لأدبي أن أهبط به الى النثر العادي الدارج الذي يعالجه كل قلم بسهولة ، فكانت لي تجربتي في السجع المديد المتناغم الذي تؤلف فيه السجعة الواحدة مقطعا كبيرا ، وكأنه مقطع قصيدة واحدة » .

أمّا المادة التي يصوغها في هذا الأسلوب فيستقيها من الذخيرة الغنية للأدب العربي ، ومن الحصيلة الواسعة لثقافته ومطالعاته ، ومن التجارب العريضة التي عناها في حياته الشاقة . تقرأ ما يكتب ، وتحسّ بعد ذلك بشبع روحيّ ، لأن « نظير زيتون » قد هيأ لك مائدة مترعة بألوان المآكل ، جمعت كل شهيّ جميل المذاق ، وأوفت على حاجتك بما ذخرت به من صنوف المطاعم ، وكلها عامر بالدسم وعناصر الغذاء ، فلا تحسّ بعد نهوضك عن هذه المائدة بأنك في حاجة الى مزيد ، لأن نظير زيتون قد أغناك وأمرعك ، وأشبعك وأترعك ، وأرضاك وأقنعك ، واستأثر باعجابك وتقديرك واحترامك . ومن حسن الاتفاق أن موائد نظير زيتون كانت ممدودة دائما على بساط عربيّ رحيب ، في الوطن والمهاجر ، فاستفاض خيره واستزيد من نفعه .

وأكثر ما يهزّ « نظير زيتون » كلمة بليغة أو قصيدة مطربة ، أو لفتة من لفتات الجمال الباهر ، أو معنى مبتكر من عذارى المعاني ، أو مبرّة آسرة من مبرات الخيرين والأريحيين . فهو في حقيقة أمره يستمدّ وحيه الأول من انسانيته الشفيفة التي تنصاع انصياعا تلقائيا لكل معنى انساني أغرّ أو قيمة من أمثل القيم . فهو مستشرف للمعالي دائما ، يجاهد لبلوغها وينادم أصحابها في تلذّذ عميق . ينثر أمامه معاجم اللغة قديمها وجديدها ، ويقضي الساعات في فحص ألفاظها وتدقيق معانيها ، كأنه في سعيه الى الكمال يعيد النظر ويحيله في كل لفظة مصوغة حتى وان وردت في أمهات المراجع المتاحة لأهل الضاد .

وله على تلك المعاجم ملاحظات بصيرة ، وله مثلها على الموسوعات ، وان ضنّ بنشر هذه الملاحظات السديدة الرأي اعتقادا منه بأن مادتها تثقل الكتب وتنوء بها طاقات الصبر عند القراء في هذا الزمان المتسرع اللهفان .

ولقد انتهى زمان الخطابة أو كاد ، ولكن زمانها عند « نظير زيتون » كان ممتدا متصلا ، فعافته منابر المهجر والوطن خطيبا متدفقا ، يتكلم ساعات فلا يكلّ ولا يملّ . وقد سمعته يخطب في الناس من بضع سنين بصوته الممتلئ المنغّم ، فشدّ اليه الأنظار والأسماع والأفهام وكأنه « سحبان » جديد . وله مجموعة مطبوعة من خطبه عنوانها « الشعلة » وطّأ لها بمقدمة مطولة عن المنابر ومرتقيبها .

واذا سأل سائل عن منزلة « نظير زيتون » في الأدب المعاصر عامة وفي الأدب المهجري خاصة ، لجاء الردّ على الفور وقد انعقد عليه الاجماع ، ان نظير من فحول المنشئين الراسخين ، ومن كبار النقاد المتبصرين ، وهو تاريخ حيّ لحركة الهجرة العربية وروادها الأولين المغامرين ، كما أنه من فصحاء الضاد اللغويين الثقات . وله باللغة عشق معجب مذهل ، ولفظة واحدة قد تقتضيه أياما من الدرس والبحث والمراجعة مع المقابلة بين أندادها في اللغتين البرتغالية والاسبانية فضلا عما كان تعلمه في أول عمره من لغات الفرنجة التي اتقنها في ما بعد باجتهاده الشخصي . سئل مرّة : أية هدية تحبّ أن تتلقاها من سريّ كريم ؟ فقال غير متردد : الطبعة الجديدة من معجم « لسان العرب » . ولو كان طلب مالا لما انحجب عنه .

ولئن كانت بنوّته البارة ألزمته عودة مبكرة الى حضن أمه ، فقد ألفى نفسه نائيا عن المطابع لانشغالها بطبع الكتب السوقية السريعة الرواج . فكان همّه الأول العكوف على مزيد من الدرس والتمحيص والتبحر في اللغة وآدابها وتراثها ، غير معنيّ بنشر كتبه الاّ في النادر القليل ، ولكنه استطاع نشر رواية مسرحية عنوانها « من وراء القبر » ورسالتين ثمينتين احداهما عن أستاذه « رشيد عطية » والأخرى عن الشهيدين « سلوم » ، و « الزهراوي » .

وكان يعدّ نفسه لهجرة جديدة اقتداء بالشاعر القروي « رشيد سليم الخوري » . حتى قال في رسالة أخيرة منه : « كنت أشعر دائما بأنني أعاني غربة قاسية شديدة ، وكأني غريب ، لا قومي يعرفونني ولا أعرف قومي ، أنا أتجه يمينا وهم يتجهون يسارا ، فكيف نتقابل ، وكيف يتم اللقاء ؟ » وكان في كلامه هذا احتجاج ضمني على بعض النعرات « التجديدية » التي غزت الأدب المعاصر ، فأفسدت أسلوبه وقوضت أركانه وجعلته مريضا أو شبه مريض ، حتى بات الكتاب والمترجمون يخرجون للناس كتبا من عنواناتها « الغثيان » و « السأم » و « الطين » وغير ذلك من الأسماء الدالة على انحراف الذوق .

بيد أن هذه الهجرة الثانية لم تتم ، وكان خليقا بها ألاّ تتم حتى ولو مدّ في عمر « نظير زيتون » لأن المنية أنفذت سهامها في بضعة الأشهر الأخيرة في زملائه ورفاق صباه في المهجر ، مثل : « جورج حسون معلوف » ، و « توفيق ضعون » ، و « نصر سمعان » ، و « يوسف البازجي » ، فكأنه كان يهرب من يتم روحيّ الى يتم أشدّ منه ، ومن وحشة وجدانية الى وحشة أقسى وأدهى ، فجاء الموت يحسم ما بينه وبين الحياة ، وما أكثر ما كان له فيها من آمال عراض .

وان وفاة « نظير زيتون » قارعة جديدة تنذر بضرورة ازدياد العناية بأدب المهجر قبل أن تندرس آثاره ، وتنمحي آياته ، ويصبح أثرا بعد عين ■

مسرحية عربية في ثلاثة فصول

«طارق» الأندلس

تقديم

الفصل الثالث

تأليف الاستاذ محمود تيمور

صاغ المؤلف مسرحيته ليصور بها شخصية «طارق بن زياد» فاتح الأندلس. وقد حرص فيها على أن يصدق التاريخ، فلا يفتري عليه، ولا يهمل حقائقه.

بيد أنه لم ينقل التاريخ بحروفه، ولكن اتخذ من الخيال أداة فنية للكشف عن الحقائق، والتعبير عن الخصال، والتحليل للأحداث، وما وراءها من مفاهيم.. وذلك في الاطار المسرحي، وطوع مقتضياته الفنية.

وهذا الفصل الثالث تتجلى فيه، الى جانب شخصية «طارق»، شخصية «الحسن بن يوسف» قاضي قضاة المغرب للوالي «موسى بن نصير»، وشخصية «الكونت جوميز» النبيل القوطي الفارس الذي قدر «طارق» في الفصل الثاني فروسيته، وأعطاه الأمان، وأطلق حريته في اللحاق بجيش «القوط» في الشمال.

(مدينة «خيخون» على خليج «غسقونية»، في أقصى الشمال من بلاد الأندلس، حيث بلغت فتوحات «طارق»).

بهو فسيح في قصر، يفضي الى مستشرف، بعضه مكشوف، ينظر الى البحر على بعد، وفيه مقاعد حول منضدة.

زفيف الرياح يشتد.

صوت «ابن سيار»، من حاشية «طارق»، في الخارج، مع جلبة ووقع أقدام).

ابن سيار: (يقدم مع بعض أتباعه) أحكموا اغلاق النوافذ.. أشعلوا المواقد.

رئيس الأتباع: أمر سيدي.

(ينصرف مع رجاله)

ابن سيار: (وحده) يا له من يوم قارس البرد عاصف.

(يبدو «مغيث» أحد قواد الأمير «موسى بن نصير» وهو القائد الذي فتح «قرطبة»).

مغيث: وماذا تغني المواقد يا «ابن سيار» ونحن على أهبة المضي في طريق «الشعاب».

ابن سيار: أيخرج «طارق» للحرب في هذا اليوم العبوس؟ اننا لا محالة هالكون!

مغيث: وهل ترد العواصف، وان اشتدت، «طارقا» عن طريقه؟ لقد أوضحنا له ما علمناه من وعورة ذلك الطريق، وخطر هذا المسلك، ولا سيما في هذا الجو الأنكد، ولكنه انصاع لغير ما نصحنا به.!

ابن سيار: لا تخش على «طارق» بأسا.. انه رجل ميمون الطالع، وان النصر معقود بيمينه ان شاء الله.

مغيث: النصر وراء النصر يدير الرأس. وربما تعالت به النفس عن سماع النصح.

ابن سيار: لقد حبب الى «طارق» سلوك «الشعاب» انها أقصر طريق لتطويق الفلول المنهزمة من جيش «القوط»، حتى يأخذ عليها سبيل المقاومة.. ولكن قوما يرددون أن هذه المعابر شديدة الوعورة، وانها خليقة أن تسمى طريق الصحاب، لا طريق الشعاب. هذا ما استطاعت أذناي أن تعيه، والله أعلم!

مغيث: ما وعيته صحيح.

(يهل «الحسن بن يوسف»، قاضي قضاة «المغرب» للأمير «موسى بن نصير» يسنده غلامان عن يمين وشمال.)

الحسن بن يوسف: الى متى هذا الازراء بشخصي، وأنا قاضي القضاة ورسول الأمير «موسى»؟ لزام أن ألقى القائد «طارقا»، لزام أن تدخلوني اليه.

ابن سيار: أناتك يا سيدي، وأهدأ مليا.

مغيث: أنصح لك أيها الشيخ المبجل ألا تلح في لقاء «طارق»، فلترجىء ذلك الى فرصة مواتية.

الحسن بن يوسف: ومتى تواتي الفرصة يا ترى؟

مغيث: بعد عودتنا من الحملة.

الحسن بن يوسف: لا حول ولا قوة الا بالله، لقد قطعت الطريق اليكم محتملا من المشقة ما احتملت، وأنا شيخ طحنتني السنون، ثم لا أسمع منكم الا التسويف والارجاء. لا، لن أنتظر عودة الحملة.. أريد أن ألقى «طارقا» على الفور.. أريد أن أبلغه رسالة الأمير «موسى» فليذهب أحدكم لينهي اليه ذلك.

(«ابن سيار» و «مغيث» يتبادلان النظر)

أتخشيانه الى هذا الحد؟ لقد طالت قامته بعد انتصاراته المتتابعة.. بيد أني لا أخافه. ستريان ما أنا فاعل.

مغيث: حسبك يا سيدي القاضي.. قلنا أن الوقت ليس بمسعفك الآن.

(يسمع للرياح زفيف.)

ابن سيار: سآمر باشعال المواقد في مخدعك، وسنوافيك بشراب مدفىء..(ينادي) يا غلام: شراب الزنجبيل لقاضي القضاة.

(«ابن سيار» و «مغيث» يتلطفان بالرجل لحمله على الانتقال الى مخدعه.

«الحسن بن يوسف» ينصرف متوكئا على غلاميه).

الحسن بن يوسف: هذا جهد ما ألقاه في هذا البلد. كان الله في عوني على هؤلاء القوم.. ينصرف.

(تعصف الريح، فتزلزل النوافذ)

ابن سيار: (يصيح بالاتباع) قلت لكم أحكموا اغلاق النوافذ، الهواء يعج في القاعة كأننا في الخلاء.

(يبدو «طارق»)

طارق: (لابن سيار ومغيث) لن أبقي من الفلول باقية.. سأشرد جمعهم، وأستأصل شأفتهم حتى لا تكون مقاومة من بعد. لتخلص «الأندلس» تحت راية الاسلام.

ابن سيار: انك لبالغ مأربك.

مغيث: الحيطة خير.

طارق: (لمغيث) ماذا تعني يا «مغيث»؟

مغيث: اذا انتظرنا حتى تسكن العاصفة كان ذلك أسلم عقبى.

طارق: أنت تقحم نفسك فيما لست



اهلا له . انك تخشى علينا العاصفة ، ولكنك تريد أن تترك لفلول « القوط » فرصة التجمع ليثيروا علينا من العواصف ما هو أشد وأنكى .

مغيث : انهم لن يفلتوا من أيدينا ، ولكن حين نأمن الأخطار والعقبات .

طارق : دائما تذكرون الأخطار والعقبات ، ولو نصبنا حسابها دائما لما نلنا مأربا ، ولا دان لنا شبر من الأرض .

مغيث : ولكن التدبير والحيطة رأس الحكمة

طارق : (صائحا) أية حكمة أيها الأحمق ؟

مغيث : لم نبغ الا نصحا ...

طارق : لو بان لي في رأيكم خير لما أوليته ظهري ! كونوا جميعا على أهبة الاستعداد .

ابن سيار : والأسرى ، يا سيدي القائد ؟

طارق : الأسرى .. علي بهم . يجب أن نفصل في شأنهم الساعة .

ابن سيار : انهم منا على مقربة .

طارق : هيا .. أسرع .

(ينصرف « ابن سيار » ، ويعود ومعه جمع الأسرى ، محوطين بالأحراس وعلى رأسهم « المقنع » رئيس أحراس « طارق ») .

طارق : اسمعوا قولي وعوه . من عاهدنا منكم على التسليم كان له منا الأمان ، ومن أبى فضرب الرقاب.

الأسرى : (متصايحين) نعاهدك على التسليم . لم يعد بيننا وبينكم عداء .

طارق : حسنا (لابن سيار) امض بهم ليكتبوا عهد التسليم .

الأسرى : (في منصرفهم) أعز الله القائد .. أعز الله القائد .

(ينصرف خلفهم « ابن سيار » .
يتخلف أحد الأسرى ، ويقف ملثما بلا حراك .
« المقنع » يشير اليه أن يمضي . فيظل الأسير على حاله) .

طارق : (للأسير الملثم) ما وقوفك ؟

الأسير : لا أستطيع أيها القائد أن أعاهدك على التسليم .

طارق : أمصر أنت على عدائك لنا ؟

الأسير : كل الاصرار .

طارق : وتلقى على أيدينا الموت ؟

الأسير : الموت أكرم عندي من الاستسلام.

(« طارق » ينزع لثام الأسير) .

طارق : من أنت ؟

الأسير : « الكونت جوميز » .. الفارس القوطي !

طارق : ألم أقل لك أننا سوف نلتقي يوما .

الكونت جوميز : وقد التقينا .

طارق : اني قاتلك ، على كره .
الكونت جوميز : فلتفعل .
طارق : أتفضل الموت على أن تسالمنا ؟
الكونت جوميز : ليس لي الخيار .. اني رجل حرب ، إما أن أكون قاتلا ، واما أن أكون مقتولا . ذلك دستور الفروسية ، وما أنا عنه عادل .
طارق : اني أفهم ما تقول ، وأقدر ما تعني .. بيد أن هذا لا ينجيك من القتل .
الكونت جوميز : أحدنا يجب أن يزول ، فان لم تقتلني قتلتك .
طارق : بل أنا قاتلك ..
الكونت جوميز : (يفسح صدره بيديه ، وهما مغلولتان) هاك صدري ، فاضرب.
طارق : سأقتلك لا محالة . ولكنني سأقتلك في ساحة حرب ، لا في قاعة ضيافة ..
يا « مقنع » .
المقنع : مولاي .
طارق : فك عن « الكونت جوميز » ، ودعه ينطلق ليلحق بالفلول من قومه . (« للكونت جوميز ») : هيا يا « كونت » .. ولتحسن الجري والقفز . اني لاحق بك .. مجد في أثرك .
الكونت جوميز : (يصمت لحظة وهو يرنو الى «طارق») أتسمح لي بمصافحتك؟
طارق : تقدم .
(يهز « الكونت جوميز » يد « طارق » مقدرا ، ثم ينصرف ووراءه « المقنع » .
يلوح قاضي القضاة « الحسن بن يوسف » متوكئا على غلاميه .)
الحسن بن يوسف : وبعد لأي ألقاك يا « طارق » .
طارق : أمرتهم أن يبلغوك أن تنتظر .
الحسن بن يوسف : انقضت أيام وأنا أحاول لقاءك عبثا . أتريدني أن انتظر اياما أخر ؟
طارق : ولم لا ؟
الحسن بن يوسف : لا طاقة لشيخ طحنته السنون بأن يحتمل هذا الجو العاصف . انها رسالة شفوية كلفني الأمير « موسى » أن أسرها اليك .
طارق : يطلب مني الأمير « موسى » وقف القتال ، وأن أكتفي بما فتحته جيوش المسلمين من أرض « الأندلس » .. كدأبه دائما كلما تقدمنا مرحلة ، أليس كذلك يا قاضي القضاة ؟
الحسن بن يوسف : يطلب اليك الأمير « موسى » أن تلقاه في « طليطلة » .. انه في الطريق اليها . يبغي لقاءك وشيكا.
طارق : هل لك أن تجيبني : لماذا يلح الأمير موسى في وقف القتال ؟
الحسن بن يوسف : انه يضن بدماء المسلمين أن تراق ، وقد تم لهم الاستيلاء على أوسع بقاع الجزيرة .
طارق : انما تسيل دماؤنا اعلاء لكلمة الله ، ولو ضننا بدمائنا منذ بواكير الدعوة المحمدية لما تحقق لنا قهر فارس والروم .
الحسن بن يوسف : لعل الأمير « موسى » يخشى أن أن يفلت منكم الزمام فتحل الهزيمة ، ويضيع ما كسبناه . وكل شيء ينتقص اذا تم !
طارق : وأين التمام ؟ ان العدو في الشمال متربص، فان لم نحط به أحاط بنا .. لا مناص من أن نكون أحد اثنين : الغالب أو المغلوب ، المنتصر أو المقهور .
الحسن بن يوسف : يا « طارق » .. ان الله يحب الرفق في الأمور .
طارق : انما أمرنا الله بالجهاد ، وما ينبغي لنا أن نقف وفينا بقية من عزم ووفرة من عتاد . لقد ألقى الله في روعنا الطموح الى بسط راية الاسلام في كل مكان ، فهل يكون من الرفق أن نتقاعس ولا نقدم ، ونحن على الاقدام قادرون ؟
الحسن بن يوسف : فلنقنع بما أفاء الله علينا ، ولنثبت فيه أقدامنا .
طارق : أنت تذكر القناعة ، وما هي الا عزاء الخاملين ، وتعلة الخائبين . لو فهم قادة الاسلام القناعة على الوجه الذي تراه لما خرجوا من الصحراء ، ولما بلغوا بحر الظلمات .
الحسن بن يوسف : أنت وما ترى .. ولكن أذكر أن الأمير « موسى » يطالبك بوقف القتال ، ويدعوك الى لقائه في « طليطلة » .
طارق : (كأنه يخاطب نفسه) كأنما الأمير « موسى » يخشى أن أستحوذ على « الأندلس » من دونه ! (للحسن بن يوسف) : اني في شغل الآن عن تلبية ما يطلب الأمير !
الحسن بن يوسف : أتعصي أمره ؟
طارق : أتوخى خير الاسلام والمسلمين .
الحسن بن يوسف : (معليا صوته) بل ان في ذلك شر أي شر !
طارق : (غاضبا) كفى ! فلتمسك عليك لسانك .
الحسن بن يوسف : أتغلظ لي في القول يا « طارق » ؟
طارق : قلت لك أكفف عني لسانك .
الحسن بن يوسف : اياك والغرور يا « طارق » ! . انك لتهدم بهذا التعالي ما بنيت لنفسك !
طارق (في هيجة) : صمتا ..
الحسن بن يوسف : فان لم أفعل ؟
طارق : أبعدتك عن عيني قسرا .
(ينادي)
يا « مقنع » ...
(يقدم « المقنع » مهرولا)
المقنع : سمعا وطاعة .
طارق : ليلزم قاضي القضاة حجرته حتى حين ، ولينادي المنادي بالخروج
(« المقنع » يخرج ومعه قاضي القضاة)
(صوت بوق يعلو ، ويتبعه زئير رعد وبرق وزفيف رياح ..)
(في مدينة « خيخون » في أقصى الشمال من الأندلس « ابن سيار » و « مغيث » و « المقنع » يبدو عليهم الاعياء .)
مغيث : سلم الله .. كادت تقع الكارثة !
ابن سيار : انها كارثة جنودها من عناصر الطبيعة : مزالق أرض ، وعقبات طريق ، ورعود وبروق وصواعق، وأمطار كأنها السيول الجارفة .
مغيث : لقد استطاع « طارق » بعد كد أن يحمي نفسه ، وينقذ الطليعة من رؤساء جنده ، من خطر محقق . كدنا نهلك أجمعين !
المقنع : « طارق » محروس بعناية الله .. مهما يقتحم من مغامرات .
ابن سيار : عسى أن يكون فيما جرى تبصرة له .
مغيث : أما هذه المغامرة فان وزرها واقع على رأس من وثق بهم « طارق » . وا أسفاه .. انهم الخونة الدخلاء
(خطوات أقدام ثقيلة ، وسعلة خشنة)
صمتا .. انه هو .. انه قادم .
(يهل « طارق » وقد ظهر عليه أنه مهموم)
طارق : (للمقنع) لقد أمرتك بالبحث عن « يوليان » ، أين يكون ؟
المقنع : أرصدت له العيون تقفو أثره ، وتأتي به .
طارق : أخرج أنت نفسك ، فلا تعد الا به . اياك أن يفلت !
المقنع : السمع والطاعة ..
(ينصرف .
« طارق » يجلس وسط القاعة على مقعد ضخم ، ويستغرق في تفكير .)

طارق : (ينهض) لا .. لن أدع الفارين يظفرون بالفرار . لأتبعنهم مهما تكن الصعاب .

مغيث : على رسلك أيها القائد . حسبنا ما كان من مغامرة « الشعاب » ، فلولا لطف الله لكانت الداهية الدهياء .

ابن سيار : اننا لم نلق جيشا نحاربه ، ولكننا لقينا أهواء وعواصف كادت تودي بنا .

مغيث : ان الذين استرشدنا بهم كانوا يعرفون طبيعة تلك البقعة ، وهم الذين ألقوا بنا في ذلك المأزق عامدين .

طارق : اني ما استمعت قط الا لرأي أراه .. ولولا اقتناعي برأيي لما أقدمت خطوة أو أحجمت خطوة.

مغيث : ليس على المشورة ندم ، والاستقلال بالرأي ليس بمأمون المغبة في كل حال .

ابن سيار : لا غناء للمرء منا عن الاصغاء الى مشورة الأمناء الخلصاء ، ولا غناء له عن الحذر من المخادعين الدخلاء !

طارق : (ضائقا) أمناء .. خلصاء .. مخادعين دخلاء .. كفاكما .. أغربا عن وجهي .

(ينصرفان .

« طارق » يغدو ويروح ، ثم ينتحي مقعدا صغيرا في ركن القاعة ، ويجلس عليه مفكرا ، ويهمهم :)

خدعني « يوليان » .. خدعني « يوليان » !

(يستغرق في تفكير ، وقد أطرق ، ثم يهمهم :)

أوشكت الجوهرة الخضراء أن تسقط من بين يدي ، لولا أن تجلى لي قبس من نور الله ، يضيء طريق النجاة .

(فترة صمت)

يدخل قاضي القضاة « الحسن بن يوسف »)

الحسن بن يوسف : جئت أحمد اليك الله على أن أنجاك من المأزق ، وسلمك من المكروه .

(« طارق » يقف أمامه صامتا هنيهة ، ثم يمسك بيديه) .

طارق : سامحني .. كنت غليظا معك .

الحسن بن يوسف : مثلي يا بني لا يحمل الحقد .

طارق : اني في دوامة من حرب وضرب ، من كيد وحقد ، من مغامرات ومؤامرات .

الحسن بن يوسف : ما أحوجك الى أن تستريح . آن لك أن ترحل معي الى « طليطلة ».

طارق : والعدو ؟

الحسن بن يوسف : انه أحوج منك الى الراحة .. لقد شردت جمعه ، ولك اليه عودة ان شئت ! . ان ما عانيته من المتاعب خليق أن يطالبك ببعض الراحة والطمأنينة ! وان لبدنك عليك حقا !

طارق : أي متاعب ؟ اني على عزيمتي ، والمتاعب تزيد همتي مضاء !

الحسن بن يوسف : (مربتا كتفه) يا بني .. ان عزيمتك لا تهون ، وان همتك لا تخور اذا سمحت لنفسك بمهلة استجمام . اصغ الى نصح رجل في مقام أبيك ، لا ينشد لك الا الخير .

طارق : أحقا تطلب لي بالسفر الى « طليطلة » استجماما وراحة ، أم أنك تريد تحقيق رغبة الأمير « موسى » في لقائي ؟

الحسن بن يوسف : كلاهما يا بني ! .. ان لقاءك للأمير « موسى » تجميع للجهد ، وتوحيد للرأي .

(« طارق » يخطو بضع خطوات ، وهو ناكس الرأس يفكر ، ولا يلبث أن يعلو بهامته .)

طارق : (« لابن سيار ») مرهم أن يعدوا عدة الرحيل الى « طليطلة » .. كلنا عائدون !

(سرادق على مشارف « طليطلة » لاستقبال الأمير « موسى » .

« طارق » على باب السرادق يتطلع الى الأفق ، وخلفه « مغيث » و « ابن سيار » و « المقنع » .

بعض الأحراس عند السرادق في ذهاب وجيئة .)

طارق : لا ظل لموكب على قرب أو على بعد .

ابن سيار : أكد لنا الرسول الذي بعثنا به يستطلع ، أنه لمح موكب الأمير « موسى » آخذا سمته صوب « طليطلة » .. لا يمضي طويل وقت حتى يكون بين ظهرانينا .

طارق : اذهب فاخرج الى ظاهر المدينة ، ومتى لمحت معالم الموكب عدت لتخبرنا .

ابن سيار : أمر مولاي .

(ينصرف)

طارق : (« للمقنع ») أما أنت يا « مقنع » فالزم مكانك على مقربة منا ، ولتكن على صلة بحراس المدينة .

المقنع : أمر مولاي .

(ينصرف)

طارق : وأنت يا « مغيث » .. لتكن على رأس الكتيبة التي تستقبل الأمير « موسى » .

مغيث : سمعا وطاعة .

(ينصرف)

بعد قليل يلوح « المقنع » في لمة من الأحراس والأتباع . الأتباع ينسقون السرادق ، والأحراس يتخذون مواقفهم فيه .

ضجة من خارج

يهل الأمير « موسى » في حاشيته ، ومعه « طارق » وقاضي القضاة « الحسن بن يوسف » ، والقائد « طريف » .

الأمير « موسى » بيده سوط يتلاعب به .)

الأمير موسى : لا .. لا سلام ولا كلام يا « طارق » .

طارق : أيجد الأمير علي كل هذه الموجدة ؟

الأمير موسى : تعصي أمري ولا أغضب ؟

طارق : لقد لبيت أمرك ، وهأنذا قد عدت اليك قبل أن أستكمل خطة الزحف .

الأمير موسى : بعد لأي فعلت ! كم من رسول بعثت به اليك ، يحمل أمري أن توقف القتال !

طارق : لم يكن في مقدوري أن أفعل . ولو كنت مقامي أيها الأمير لواصلت زحفك . وقد كان علي أن أطارد فلول الأعداء ، حتى لا يتسع لهم الوقت لكي يلموا شعثهم ويعاودوا هجماتهم . الضرورة كانت تقضي بأن أحمي ما كسبت ، وأن أحفظ ما غنمت ، وغير ذلك حماقة مني ونزق !

طريف : كان عليك قبل أن تفتح جديدا أن تولي اهتمامك لتنظيم ما استحوذت عليه ، حتى لا يتطرق اليه الوهن .

طارق : وددت لو كنت معي يا « طريف » ! .. اذن لتركتك تتولى التنظيم والتمكن ، كي أفرغ أنا للزحف والفتح !

الأمير موسى : عجبت للرجل « طارق » .. لا تروى له غلة ، ولا ينطفىء له نهم !

الحسن بن يوسف : (في شيء من الدعابة للتسرية) انه كالمزواج يا مولاي .. لا يكاد يبني باهله يوما أو يومين حتى يسعى الى جديد من الأهل ، ثم لا يلبث أن يتخذ من النساء ثلاث ورباع .. !

طارق : أكان « عقبة بن نافع » منهوما

مزواجا حين وقف على شاطىء « بحر الظلمات » يقول : « لو علمت أن أرضا وراء هذا البحر لفتحتها » ؟

طريف : أتزن نفسك بالأمير « عقبة » يا « طارق » ؟

طارق : أتى « عقبة » بعظائم ، وأتيت أنا بما هو أعظم ..

الأمير موسى : تتطاول يا « طارق » !

طارق : أهدى « عقبة » الى الاسلام « افريقية » ، وأهديت أنا الى الاسلام « الأندلس » بأسرها .

الأمير موسى : ما لهذا ولما كنا نخوض فيه ؟ سألتك : فيم عصيت أمري ؟

طارق : أجدر بك أيها الأمير أن تسألني : ماذا كسبت للخلافة من رقاع ، وماذا دوخت لها من أقيال .

الأمير موسى : كان عليك أن تطيع ما أمرتك به .

طارق : وصالح المسلمين .. أليس هو فوق كل أمر ؟

الأمير موسى : (في غضب) تصر على العصيان ، حقت عليك العقوبة .

طارق : (مندفعا) لا يضيرني عقابك .. ما شئت فافعل .

(يقدم « ابن مقبل » مهتاجا)

ابن مقبل : (للأمير « موسى ») رجل من الفرنجة في زي عربي ، قدم اللحظة ملحا في طلب لقاء الأمير .

الأمير موسى : بين بدينا الآن ما يشغلنا عن لقاء أحد .

الحسن بن يوسف : الرأي عندي – ورأي الأمير أوفق – أن ننظر ماذا يبغي الطارق الأعجمي .. نحن أيها الأمير في حرب مع الفرنجة ، ومن سداد الرأي أن تصغي لما يبسطون من تدبير .

الأمير موسى : فليكن ذلك .. علينا بوافد الفرنجة .

(ينصرف « ابن مقبل » ، ولا يعتم أن يعود ، ومعه « الكونت جوميز ») .

طارق : (دهشا) « الكونت جوميز » ..

الكونت جوميز : (للأمير « موسى ») السلام على الأمير .

(ثم « لطارق ») السلام على القائد « طارق » .

الأمير موسى وطارق : (معا) وعليك السلام .

(لـ « طارق ») أتعرف الرجل ؟

طارق : شريف قوطي ، وهو محارب عنيد .

الأمير موسى : (للكونت « جوميز ») ماذا أنت طالب الينا أيها القوطي المحارب؟

الكونت جوميز : أمر أرغب في أن أشهدك عليه .

الأمير موسى : تشهدني أنا ؟

الكونت جوميز : بل أشهد عليه جميع من في المجلس .

(يقف في الوسط ، ويرفع صوته)

أنا الكونت جوميز أشهدكم جميعا أمام الله أني قد أسلمت وجهي لله ، واني آمنت بأن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

الأمير موسى : أتدين بالاسلام أيها «الكونت» ؟

الكونت جوميز : أدين به عن طواعية ورضا ، واني لأقف سيفي على نصرة دين الله .

الأمير موسى : أترضى أن تكون منا ؟

الكونت جوميز : نعم ، وكيف لا أرضى ودينكم لا يفضل به انسان على انسان الا بالتقوى ؟

طارق : أهون علي أن أبلغ القمر من أن أسمع أن « الكونت جوميز » قد صار مسلما .

الكونت جوميز : أما اسلام « جوميز » فقد أصبح حقيقة لا يتطرق اليها شك ، وأما بلوغ القمر فذلك في ضمير الزمن ، ولندع تحقيقه للآتين من بعد .

الأمير موسى : أسأل « الكونت جوميز » : ماذا حداه على الدخول في الاسلام ؟

الكونت جوميز : حداني على ذلك رجل من المسلمين عظم في نفسي قدره ، فملكت قلبي محبته ، وآمنت بعقيدته التي أنمت روحه ، وفجرت فيه خلال الأبطال .

الأمير موسى : من تعني ؟

الكونت جوميز : لا أعني غير هذا . (مشيرا الى « طارق »)

طارق : أنا ؟

الكونت جوميز : نعم ، أنت يا « طارق » .. أعلنها جهرة على الملأ . أحببت الاسلام فيك .. أحببت ما تجلى فيك من شهامة ومروءة وعدالة وصدق جهاد .. أحببت ما تحليت به من سماحة وأريحية وعفو عند المقدرة .. أحببت ايمانك الذي نبضت به كل جارحة فيك ، فدفعك الى خوض الغمار ، لا تبالي الأخطار .

طارق : (مهتاجا) هذا كثير علي يا « كونت جوميز » .

(يتقدم اليه معانقا)

الكونت جوميز : لست منذ الساعة أدعى «جوميز» ، فلتسموني « ابن جميز » .

طارق : مرحى ! مرحبا بأخينا في الله « ابن جميز » !

الحسن بن يوسف : تأذن لي يا « ابن جميز » أن أضيف الى اسمك نسبة تعرف بها

ابن جميز : ماذا تريد أن تضيف ؟

الحسن بن يوسف : ليكن اسمك « ابن جميز الطليطلاني » .

ابن جميز الطليطلاني : عن طيب خاطر أقبل هذا الاسم .

(يقدم « مغيث » مبهور الأنفاس)

مغيث : السلام على مولاي الأمير «موسى».

الأمير موسى : وعليك السلام يا « مغيث » .. ما بك ؟

مغيث : أمر جلل حملته الينا العيون من منطقة الشمال .

الأمير موسى : أي أمر ؟

مغيث : جموع تكتلت من « القوط » في ولاية « أرجون » . لقد أصبحت «سرقسطة» و « برشلونة » مبعث خطر داهم .

ابن جميز : ترامت الينا أنباء من وراء « البرانس » بأن الملوك هنالك يبعثون بالعون تلو العون الى « أرجون » .. انهم يخشون أن تواصلوا زحفكم الى ما وراء الممرات . لم يعودوا يأمنون لكم جانبا .. فهم منكم على قلق !

مغيث : ان لم نشد عليهم اليوم ، أحاطوا بنا غدا .

الأمير موسى : أيحيطون بنا ، وأنا هنا ؟

(يلتفت الى « طارق »)

يا « طارق » !

طارق : مولاي ؟

الأمير موسى : أنت قائد جيش الى « أرجون » .. سنتم معا فتح « الأندلس » بعون الله ..

(يتقدم الأمير « موسى » الى « طارق » فيحتضنه ، ثم ينادي :)

يا « مغيث » !

مغيث : لبيك مولاي ..

الأمير موسى : فلتعد العدة للخروج الى العدو ..

(يجرد سيفه من غمده ويشهره . حملة السيوف من الحاضرين يجردون سيوفهم من أغمادها ويشهرونها) .

دقوا طبول الحرب .. ليتقدمن الجيش الى الشمال لاستكمال الفتح العظيم .. والله أكبر .. والعزة للاسلام !

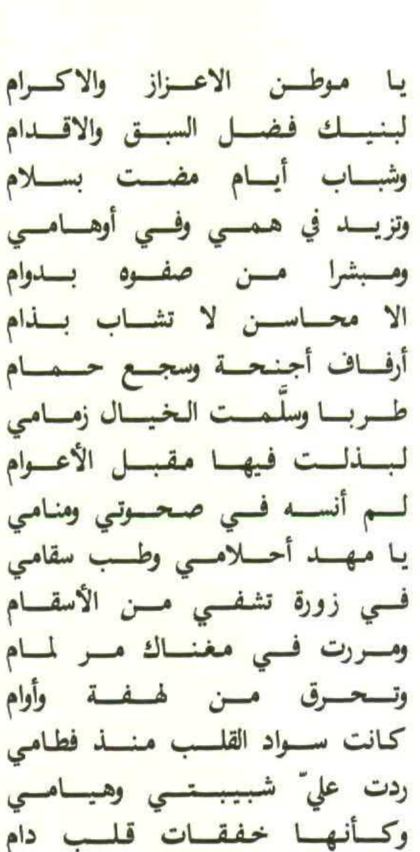
(تقرع الطبول ، ويتعالى الهتاف .)

الصوت الجماعي : الله أكبر .. والعزة للاسلام ..! ■

ستارة الختام

حنين ووفاء

للشاعر محمد مصطفى الماحي



بلدي الحبيب تحيتي وسلامي ... يا موطن الاعزاز والاكرام

شبت على يدك البطولة وانتهى ... لبنيك فضل السبق والاقدام

فيك انقضى عهد الطفولة والصبا ... وشباب أيام مضت بسلام

أيام لا التبعات تثقل كاهلي ... وتزيد في همي وفي أوهامي

أيام يبسم لي الزمان مسالما ... ومبشرا من صفوه بدوام

أيام أرتع في رياضك لا أرى ... الا محاسن لا تشاب بذام

وكأن للأغصان حين تمايلت ... أرفاف أجنحة وسجع حمام

يا حسنه عهدا نعمت بظله ... طربا وسلّمت الخيال زمامي

عهد لو أني فزت منه بساعة ... لبذلت فيها مقبل الأعوام

ما زال يصحب في حياتي خاطري ... لم أنسه في صحوتي ومنامي

يا وحي آمالي ومبعث همتي ... يا مهد أحلامي وطب سقامي

أحييت نفسي حين جئتك شيقا ... في زورة تشفي من الأسقام

كانت غذاء الروح حين قضيتها ... ومررت في مغناك مر لمام

أسعى اليك وفي الفؤاد تشوق ... وتحرق من لهفة وأوام

وأزور يا بلدي الحبيب معاهدا ... كانت سواد القلب منذ فطامي

فاذا وقفت بربعها متأملا ... ردت عليّ شبيبتي وهيامي

فأحس حين أراك وقع خواطري ... وكأنها خفقات قلب دام

وأكاد ألثم في ثراك مراتعي ... تلك التي سعدت بها أيامي

ما عشت مغتربا وقلبي حائم ... حول الحمى ووشائج الأرحام

خطباء صنعوا التاريخ



قد يبدو الحديث للبعض أن تناول الخطابة والخطباء ، أمر عجيب ، في عصر العلم والتكنولوجيا عصر العقل والمادة ، العصر الذي لا يلقي بالا للاثارة الشعورية والوجدانية .

ولكن هذا الرأي ، في الحق ، غير صحيح ، لأن الخطابة وأختها المحاضرة ، لازمتان لكل عصر ولكل جيل ، لأن الخطابة والمحاضرة ، لا تنطوي على اثارة المشاعر والعواطف فقط ، ولكنها تجمع الى العاطفة العقل .

انها جمع للحقائق في نظام منطقي مقنع ، وانارتها واضاءتها بشعاعات من العاطفة تهبها الرونق ، والنضارة واللمعان والحيوية .

ولا خطابة نابغة ، بدون معرفة واعية ، وبدون عقل بصير ، وعاطفة حارة مخلصة ، فالخطابة اذن تنوير للحقائق ، واساغة لها ، وهي ضرورية في كل مجال من مجالات الحياة .

وقد أكد هذه الحقيقة الأستاذ أنور أحمد في كتابه « المضيء » الحاوي لاثني عشر خطيبا ، منهم الخطيب اليوناني الوطني « ديموستين » ، والخطباء المسلمون والعرب : علي كرم الله وجهه ، وعبدالله بن الزبير ، وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف ، والخطيبان الفرنسيان : « نابليون بونابرت » و « ميرابو » ، والخطيبان الانجليزيان : « وليم بت » الكبير والصغير ، والخطباء العرب : النديم ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول .

فقد كان كل خطيب في مجاله ، يقنع سامعه بفكره ، ويأسره بعاطفته وحماسته واخلاصه وبعبارته القوية المنتقاة . حتى أن كثيرا من سامعيه كان يفقد ، بهينمة الخطاب ، السيطرة على مشاعره .

يقول المؤلف في صدد الحديث عن « ديموستين » الخطيب الاثيني ، الذي جاهد بخطبه النارية « فيليب » ملك « مقدونيا » ، ومن بعده ولده الاسكندر الأكبر :

« الواقع أن من يقرأ خطب « ديموستين » اليوم ، يشعر فيها بصدق اللهجة والاخلاص الذي يوحي اليه الثقة بالخطيب ، ويروعه منها ، التدفق وغزارة المادة ، والمنطق السليم ويجدها مزاجا رائعا من الموضوعية التي تقنع العقل ، والحماسة التي تثير الشعور . »

وفي صدر الحديث عن هاتين الخاصتين يقول المؤلف عن الامام علي كرم الله وجهه :

« فاذا قرأنا خطبه ، تمثل لنا الامام خطيبا نادر المثال : عقل ذكي واسع الأفق ، يلم بشتى العلوم ، ومعرفة دقيقة بطبائع الأشخاص وخصائص الأشياء وأسلوب يمتاز بالجزالة والفحولة يتدفق بالقول البليغ المقنع ، يخاطب به العقول والقلوب »

وعلى هذا الغرار سار المؤلف مبرزا تميز أكثر من تناولهم بهاتين الخاصتين ، ومن بين هؤلاء « مصطفى كامل ، وسعد زغلول » وقد أتى بمواقف خطابية لسعد زغلول ، أبان فيها كيف كان هذا الرجل يجمع في خطبه بين القدرة على الاقناع والقدرة على اثارة الحماسة والشعور .

وقد جمع المؤلف نخبة من أقوال هؤلاء الخطباء كدالة على قوة تفكيرهم ، وتماوج مشاعرهم ، ونخبا أخرى من عباراتهم الحاسمة ، بعضها أصبح من الجمل المأثورة في أفواه الناس ، وبعضها يغني عن جمل كثيرة .

ولنستمع الى بعض أقوال الخطيب العربي الداهية زياد بن أبيه ، أو زياد بن أبي سفيان ، الذي عمل مع عمر بن الخطاب ، فأخضع بلاد الفرس لحكم عمر ، وقربه معاوية اليه ، وثبته على حكم الفرس ، وولاه بعد ذلك البصرة وخراسان وغيرها من البلاد . يقول زياد عندما قدم البصرة في خطبته البتراء ، « وسميت كذلك لأنه لم يبدأ فيها كلامه ، بحمدالله ، على عادة الخطباء » ، مندداً بما كان يجري في هذا البلد من فساد :

« ما هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل .. ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ؟ » ثم يقول :

« اني رأيت آخر الأمر لا يصلح الا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، واني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول « أنج سعد فقد هلك سعيد » ، أو تستقيم لي قناتكم .

ونترك هذا الموقف الى موقف عاطفي لعربي آخر ، من عترة الرسول .. جده أبو بكر وأمه أسماء بنت أبي بكر ، هو « عبد الله بن الزبير ، وكان خطيبا فارسا ، اشترك في فتح شمال افريقية وفي حروب أخرى عديدة ، وانتهى الأمر ، بأن دانت له أكثر البلاد الاسلامية ، وبايعته ، ما عدا بلاد الشام » وكان قد ولّى أخاه مصعبا على العراق ، فخرج عبد الملك بن مروان لقتاله بنفسه ، فأخضع العراق ، وقتل مصعب . وعندما وصل خبر مقتل مصعب الى أخيه عبد الله بن الزبير سكت أياما ثم صعد المنبر ، فجلس فوقه لا يتكلم ، والكآبة تشيع في وجهه ، وجبينه يرشح عرقا ، فقال رجل من قريش لجاره :

« ما له لا يتكلم ، أتراه يهاب المنطق ! فوالله انه لبيب الخطباء » .

وهنا تكلم الزبير . قال : « أتانا خبر من العراق ، فساءنا وسرنا . أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرته . فأما الذي أحزننا من ذلك ، فان لفراق الحميم لذعة ولوعة ، يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ، ذو الرأي والدين ،

تأليف الاستاذ أنور احمد

دراسة بقلم الاستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي

الى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي سرنا منه فانا قد علمنا أن قتله شهادة له . « ثم استطرد : « فان يقتل فمه ؟ لقد قتل أبوه وعمه وأخوه ، وكانوا الخيار الصالحين . »

بهذه العبارات البليغة التي تقطر حكمة ، وتذوب حسرة ، فاه هذا العربي العظيم ، مازجا بين شعورين متناقضين ، شعور الحزن وشعور السرور ، ومعقبا بفكرة أن أباه وعمه وأخاه قتلوا ، وكانوا من الأخيار الصالحين .

وإليكم مثلا آخر ، للخطيب العربي الحجاج ، يكشف عن موقف فكري ، استخدم فيه المقايسة الدالة على ذكائه ولباقته ، ويبرر موقفه من قتل عبد الله بن الزبير :

« الا ان عبد الله بن الزبير كان من أحبار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ، ونازع فيها وخلع طاعة الله ، واستكن بحرم الله . ولو كان شيء مانعا للعصاة ، لمنع آدم حرمة الجنة ، لأن الله خلقه بيده وأسجد له ملائكته ، وأباحه جنته . فلما عصاه ، أخرجه منها بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة . »

فها هوذا يبتدىء بحقيقة أن عبد الله بن الزبير من الأحبار ، وهي حقيقة ترضي السامعين ثم يقايس بين خروجه على الخليفة حيث استحق العقاب ، وخروج آدم على ربه حيث حرم الجنة .

وأقرب مثال الينا في العصر الحديث ، على مخاطبة الخطيب للعقل والشعور ، هذا الموقف الذي وقفه سعد زغلول ، وهو يهاجم التصريح الذي اعترف فيه الانجليز باستقلال مصر في ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، مع تحفظات أربعة تهدر هذا الاستقلال . فبعد أن شجب زغلول التصريح بآرائه المقنعة ، أراد أن يسخر منه ، فصوره بالناقة الفارهة التي وضع صاحبها في عنقها تميمة ، ومضى بها الى السوق ، فأتاه أعرابي لشرائها ، فقال له صاحبها أنها بدينار ، ومعها التميمة بألف دينار ، ولا يبيعها بغير التميمة ، فقال الاعرابي :

« والله انها لمليحة ، لولا التي في عنقها » .

وهنا يعرض لنا سؤال عن هذه الموهبة ؟ ما دعامتها ، وما مكوناتها ، وما مظاهرها ؟ وهنا نجد جزءا من جواب هذا السؤال منثورا فيما تناوله هذا الكتاب من الخطباء .

فالخطيب يمتاز بقدرة لغوية فائقة ، أو بمعنى آخر له قدرة على ملكية العبارة ، يطوعها ويذوبها ويفجرها ويتلعب بها . وهذه المقدرة هي أول ميزة امتاز بها خطيب مثل « ميرابو » الفرنسي ، الذي وضع كتبا كثيرة ، أشهرها كما يقول مؤلف كتاب « الذكريات » ، ومثل الخطيب الانجليزي « وليم بت الصغير » الذي قال عنه الخطيب الجهير « فوكس » :

« كنت وأنا أخطب ، أبحث عن الكلمة حتى أجدها ، أما بت فكان يجد الكلمة المطلوبة دائما في متناول يده ولسانه . »

ومنهم الخطيب اليوناني « ديموستين » ، فقد جاء في كتاب المؤلف « أنه سما بالنثر اليوناني الى حد قريب من الكمال ، وفاق الكثيرين في الوضوح والصفاء . »

والميزة الثانية التي يتميز بها الخطيب النابغة ميزة عقلية هي : الذكاء ، وقوة الذاكرة ، والمقدرة الادراكية حسية وحركية ، والاستجابة السريعة ، فمن الخطباء من يتأثرون بسرعة البرق ، فزمن الرجع « Reaction Time » الذي يمضي بين المؤثر والانعكاس ، خاطف كلمح البصر ،

ويكفي تدليلا على هذا ما جاء في الكتاب عن الخطيب الفرنسي ، « ميرابو » ، اذ قال المؤلف :

« أوتي ميرابو ذكاء حادا وذاكرة قوية ، جعلت أباه يقول عنه ، وهو في السادسة من عمره ، انه كالرمل يبتلع كل شيء » . أما عن مقدرته الادراكية ، وسرعة استجابته الخاطفة ، فتمثل في سرعة بديهته ، وومض ادراكه وجريان أسلوبه وتدفقه .

ولا أجد شاهدا بارزا على هذه الحقيقة أدل من وصف فيكتور هيجو له ، اذ قال :

« ميرابو يتكلم .. هذا هو الماء يجري ويتدفق ، هذا هو الموج يرغي ويزبد ، وتلك هي النار التي تقدح بالشرر ، لا أوراق ، ولا محبرة ولا أقلام ، ولكنه الرخام يهوي عليه بضرباته ودرجات المنصة يهرول عليها جاريا الى المنصة ، لا .. بل قفص من أقفاص الوحوش الضارية يروح فيه ويغدو ، ويسير ويتحرك ، ويقف ويلهث ويزأر ، يشبك ذراعيه ويضم قبضتيه ، ويجمل الكلام باشاراته الموقعة . »

ويقول المؤلف في حديثه عن الخطيب الانجليزي « وليم بت الصغير » :

« شهد له الجميع بأنه الخطيب المرتجل ، الذي يندفع كالسيل في عبارة مرصعة الحواشي من غير استعداد . لا يتوقف باحثا عن كلمة أو مفتشا عن عبارة ، بل كانت المعاني في خدمته ، والألفاظ طوع لسانه »

وتفوق السمات اللغوية والذهنية ، سمات الخطيب الخلقية ، وعلى رأسها الشجاعة والحماسة والحيوية ، وهي قوام الشخصية القوية .

وتتجلى أهمية هذه السمات في الاعراب عن أهداف الخطيب ، ومثله العليا ، وهذه الأهداف وهذه المثل هي الروح القوي الذي يبعث الى الفكر زاده ، والى الكلمات عنفوانها .

وما من ريب ان الاخلاص للمثل أهم من اللغة ومن الصوت ، لأن اللغة والصوت والحركة

تهتم بنفسها ، ولن ينجح أي خطيب في مهمته اذا تحدث في شيء لا يعتقد به ، مهما استخدم من أفصح العبارات ، واصطنع أرشق الحركات .

وقد أفاض المؤلف في بيان هذه الحقيقة في حديثه عن بعض الخطباء الذين تناولهم ، ومن هؤلاء الخطباء مصطفى كامل ، الذي قام يجهر بحق بلاده في شجاعة وحماسة ، ليحرك كبرياء بني وطنه ، ويثير شوقهم الى الحرية ، وهذا الشوق العظيم ، دفعه الى مجاهدة أكبر دولة في زمانه .

وقد بقي لهيب هذا الشوق متقدا في قلبه ، حتى وافاه الأجل ، وعمره ٣٤ سنة ، وكانت خطبه تصنع من لهيب حيويته وحماسته وشجاعته ، وفي هذا يقول المؤلف :

« على أن أسلوب الخطيب وفصاحته وجمال القائه ، لم يكن شيئا مذكورا ، بجانب الشجاعة وانكار الذات ، وروح التضحية ، والاستهانة بالخطر .. »

وليس الشوق العظيم ، والفكر الصافي ، والبلاغة ، بكافية لخلق الخطيب ، بل لا بد من عوامل أخرى ، وهبات أخرى جسمانية ، تكون أداة لنقل الشوق والفكر ، وأهمها الصوت ، وبعض ملامح الجسم الجاذبة .

وقد أفاض المؤلف الحديث في هذه النواحي ، في كل شخصية تناولها ، فالأصوات الرديئة من العيوب . والأصوات الحسنة نفحات من الله ، وهي تتنوع في رقتها وحلاوتها ، وفي جلالها وفخامتها ، وفي جمالها ونبالتها . يقول المؤلف عن صوت « ميرابو » :

« أما صوته ، فكان هبة الطبيعة الكبرى للخطيب .. صوت موسيقي ذو جرس ورنين ، يعرف كيف ينوعه بمهارة . تسمعه تارة عذبا رقيقا ناعما ، وتارة صاخبا هائجا كقصف الرعد .

ولم يكن ميرابو بالرجل الجذاب الطلعة ، فقد كان قصيرا ضخما ، وكان وجهه ممتلئا ببثور الجدري بشكل ظاهر ، ولكنه وهب هذا الصوت ، الذي سحر به الآذان والألباب . »

ويصف صوت « عبد الله النديم » نقلا عن صديقه أحمد سمير ، فيقول :

« كان يخطب في كل ناد ومحتفل بصوت جهوري ، ولسان أمضى من الحسام وقلب أجرأ من الأسد ، ولم يكن النديم من ذوي الطلعة الجذابة فقد كان قبيح الوجه ، وكما وصفه أحمد تيمور ، بأنه كان في قبح الجاحظ . ولكنه وهب هذا الصوت الجهوري الذي لا أشك أنه كان صوتا حلوا محببا للآذان ، بدليل قول تيمور أن حديثه كان شهيا ، اذا أوجز ود المحدث أنه لم يوجز » .

وعندما تناول المؤلف مصطفى كامل ، قال يصف صوته :

« صوت قوي له جرس ورنين ، واضح النبرات فيه عذوبة ورقة ، يعرف كيف يلونه عند الخطابة . كان يبدأ كلامه بصوت هادىء فيسترعي الانتباه . وتتعلق الأسماع بشفتيه ، ثم يرتفع شيئا فشيئا حتى تغمر نبراته الحلوة الرنانة أرجاء المكان .

وفي هذا الصوت يقول عبد الرحمن الرافعي رحمه الله « كان مصطفى اذا جلس في محفل ، وتكلم مع الحاضرين يدوّي صوته كأنه يلقي على السامعين خطبة من خطبه الرنانة وكان جهوري الصوت يتكلم من أعماق قلبه المملوء يقينا وايمانا .

وقد أتى المؤلف بأقوال طائفة من الذين سمعوا سعد زغلول ، وعاشروه ، قال أحدهم : « كان صوته قوي النبرات ، فيه أسر وفيه سلاسة وفيه انسجام ، وفيه جاذبية .. »

ويقول مكرم عبيد : « من منا لم تلهبه تلك الفصاحة ، ولم يخترق قلبه ذلك الصوت المتهدج » . صوت ذهبي حار ، ذو رنين ورجفة ، صوت تكاد تسمع فيه أزيز نفسه ، وخفقان قلبه ، وغليان دمه ، وتساقط دموعه ، تنفجر من فمه الألفاظ جارفة قوية واضحة صريحة قاطعة . »

والى جانب هذه الأصوات ، فقد وهب الكثير منهم عيونا مضيئة ، كانت جنودا لهم . وقد وصف المؤلف بضعة من عيون الخطباء الذين أتى بهم . فقال في معرض الحديث عن « ميرابو » أن عينيه كانتا تشعان ببريق خاطف . وقال عن « وليم بت الكبير » نقلا عن « ماكولي » ، ان عينيه كان يومض منهما بريق .

وقال عن مصطفى كامل : « له عينان تفيضان بالحيوية ، وينبعث منهما بريق هادىء يجذبك اليه . »

ووصف عيني زغلول نقلا عن العقاد ، قال : « كانت له عينان ثاقبتان فيهما انحراف نحو اللحاظ يطبقهما احيانا عند الحماسة والغضب ، فلا تتفتحان الا بمقدار ما ينطلق فيهما الشعاع كأنه سهم نافذ أو ايحاء منوم . »

وسأترك ما أورده المؤلف عن طريقة هؤلاء الخطباء عند حديثهم ، من حركات واشارات ، فلكل خطيب طريقته ، وذلك لاعتقادي ان الانفعال الذي يقود الخطيب أقوى من كل حركة وكل اشارة .

وبعد فهذا ما عنّ لي قوله بعد استيحاء هذا الكتاب الرشيق الجذاب الممتع ، رشاقة صاحبه ، وجذبه ، والمفعم بسيرة مبسطة لحياة هؤلاء الخطباء المسايرة لمواقفهم الخطابية ، وقد سلكت في عرضه ونقده منهج النقد التعبيري ، الذي يقتصر على بعض واقعات الكتاب ، ويعلق عليها ، ويطرز حولها ■

اخبار الكتب

ـ طائفة جليلة من كتب التراث العربي صدرت أخيرا ، منها : « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروز أبادي ، وقد ظهر جزؤه الخامس المخصص « للمواضع » ، وقام بتحقيقه العلامة الكبير الشيخ حمد الجاسر ، و « كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » لأبي هلال العسكري ، وقد ظهر جزؤه الأول بتحقيق الدكتور عزة حسن ، و « كتاب اللامات » لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، وقد حققه الدكتور مازن المبارك ، و « ديوان علقمة الفحل » شرح الأعلم الشنتمري وتحقيق الأديبين درية الخطيب ولطفي الصقال ، و « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » لعلي بن يوسف القعطي وقد حققه ووضع فهارسه الأستاذ حسن معمري وراجعه وعارض نصوصه الشيخ حمد الجاسر .

ـ ظهرت مجموعة كبيرة من السير والتراجم ، منها : كتاب للأستاذ محمد طاهر الجبلاوي عن صديقه العقاد صدر بعنوان « مع العقاد في سبحات الحب والجمال » ، ودراسات عن « عمر فاخوري » للسيدة وداد سكاكيني ، و « أبو نواس شاعر من عبقر » للدكتور زكي المحاسني ، و « أحمد شوقي » للدكتور ماهر حسن فهمي ، و « ساطع الحصري » للدكتور عبد الرحمن برج ، و « ابن الهيثم » للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ، و « ابن خلدون » للأستاذ تيسير شيخ الأرض ، و « أبو تمام » للدكتور جميل سلطان ، و « بدر شاكر السياب » و « قسطاكي الحمصي » وكلاهما للدكتور محمد التونجي ، و « ابن النقيب » للدكتور عمر موسى باشا ، و « شخصيات من الشرق والغرب » للأستاذ نجم الدين غالب الكيب بمقدمة للأستاذ أبي القاسم محمد كرّو . وتحت الطبع دراسة عن « جرجي زيدان » للأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وأخرى عن « فهد العسكر – حياته وشعره » وهو طبعة جديدة لكتاب الأستاذ عبد الله زكريا الانصاري ، وثالثة عن « الدكتور مصطفى جواد » للأستاذ وحيد الدين بهاء الدين .

ـ اصدر معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية طبعة جديدة من ديوان « عمرو بن قميئة » وقد حققه وشرحه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي .

ـ من الكتب الاسلامية التي صدرت أخيرا « التاريخ الاسلامي خلال أربعة عشر قرنا » « للدكتور ابراهيم الشريقي ، و « التفسير ورجاله » لعلامة تونس الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور ، و « دلائل النبوة » للبيهقي وقد حققه الأستاذ السيد أحمد صقر .

ـ صدر للأستاذ فهد خالد السديري كتاب نفيس عن « المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق . كما صدرت من كتب البلدان « قبائل المغرب » للأستاذ عبد الوهاب بن المنصور وقد ظهر جزؤه الأول ، و « المغرب العربي » لادوارد راي » وترجمة الأستاذ مصطفى محمد جودة ومراجعة الأستاذ عثمان الكعّاك ، و « لمحات من الخليج العربي » للأستاذ محمد جابر الانصاري ، و « البحرين وأهميتها بين الامارات العربية » للأستاذ ابراهيم عبد الكريم محمد .

ـ من فهارس الخزائن التي نشرت « فهرست خزانة يعقوب سركيس » للأستاذ كوركيس عواد ، و « فهرس مخطوطات حسن الأنكرلي » للأستاذ عبد الله الجبوري . وآخر ما ترجمه العلامة الراحل عادل زعيتر هو كتاب « ابن سينا » تأليف كاراديفو ، وهو كتاب مات مترجمه قبل أن يستكمل فصوله ، فاضطلع باتمامه والتقديم له واعداد فهارسه الأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو يصدر قريبا .

ـ من الدراسات الجادة الجديدة « دراسات في الفكر العربي » للدكتور ماجد فخري ، و « تطور الشعر السوداني » للدكتور محمد مصطفى هدّارة ، و « فن القصة والمقامة » للدكتور جميل سلطان ، و « تجارب جديدة في الفن المسرحي » للدكتور سمير سرحان .

ـ في الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : « أحلام تغني » وهو قصص شاعرية وشعر مرسل للأستاذ يوسف بدروس ، و « الرجال تبكي بصمت » وهي رواية للأستاذ عبد المجيد لطفي ، و « بنت الوادي وقصص أخرى » وهو مجموعة أقاصيص للأستاذ عبد الله سعيد جمعان ، و « الصوت الخافت » وهي مجموعة أقاصيص للأستاذ سليمان الشطي ، و « صورة الفنان في شبابه » وهي رواية لجيمس جويس ترجمة الأستاذ ماهر البطوطي .

ـ من الدواوين الشعرية الجديدة طبعة جديدة من « ديوان عقل الجرّ » وهو الشاعر المهجري الكبير ، و « ديوان البشارة » للأستاذ قاسم حداد ، و « أحاديث قلب » للشاعر غازي الجندي ، و « الطين والشمس » للشاعر محمد الفايز ، و « آرا » وهي ملحمة شعرية للأستاذ لويس رزق .

ـ صدر للدكتور عزمي اسلام كتاب « أسس المنطق الرمزي » .

ـ يصدر قريبا للدكتورة نعمات أحمد فؤاد كتاب « رسائل الى ولدي » وقد ترجمته عن داجوبرت رونز . وللدكتورة نعمات كتاب مؤلف عنوانه « الى ابنتي » وقد ظهرت ترجمة موجزة له باللغة الانكليزية .

ـ من كتب تبسيط العلوم التي نشرت أخيرا كتاب « الأرض والسماء » تأليف أ. فولكوف وترجمة الدكتور أدهم السمّان .

ـ تصدر طبعة ثالثة من كتاب « شعر الحرب في أدب العرب » للدكتور زكي المحاسني .

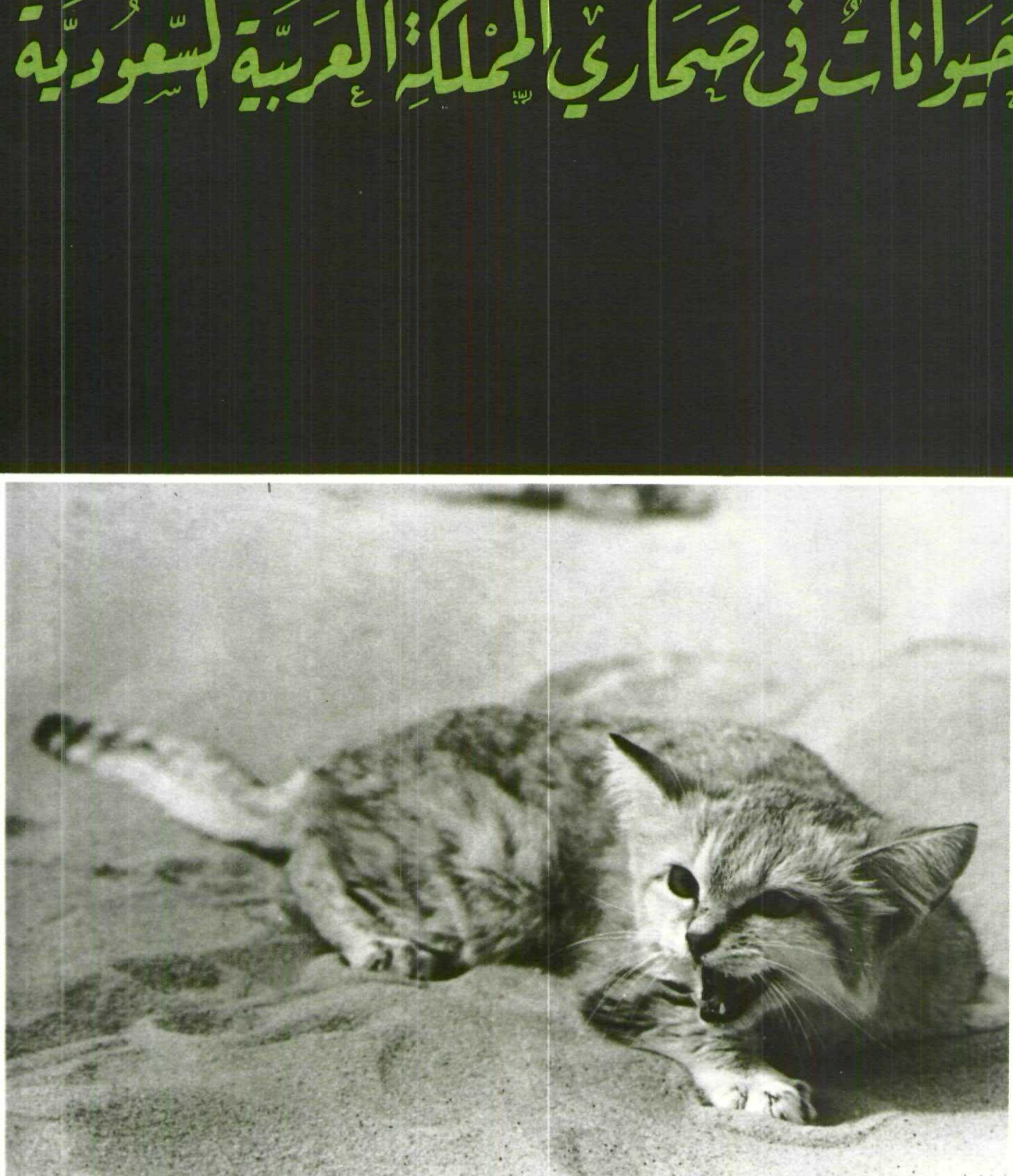
ـ « من رواد أدبنا المعاصر » ، كتاب يصدر قريبا للأستاذ البدوي الملثم يعقوب العودات يتناول فيه شخصيات أدبية معاصرة عرفها المؤلف وصادقها سنوات طويلة . ويصدر كذلك للأديب العراقي الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين كتاب عنوانه « شخصيات من الأدب المعاصر » يتناول فيه بالدرس والتحليل عشرة من الأدباء العرب ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بهذين المؤلفين الجديدين

ـ « في الشعر المسرحي » للاستاذ عدنان بن ذريل .

ـ « الأوائل » لأبي هلال العسكري ، وقد نشره الاستاذ أسعد طرابزوني ■


حيوانات في صحاري المملكة العربية السعودية

عندما نذكر كلمة « صحراء » ترتسم في أذهاننا صورة البيئة المعادية للانسان والحيوان والنبات على السواء ، والتي تضطر فيها الكائنات الحيوانية والنباتية الى اتباع مختلف أساليب التأقلم والتكيّف التي تساعدها على مواجهة ظروفها المناخية ومغالبة مصاعبها بشكل يضمن لها الاستمرار في البقاء .

والصورة العامة للصحراء ، تبين لنا أصقاعا جافة المناخ ، عديمة الأمطار ، فقد تمر أعوام دون أن تسقط قطرة مطر واحدة ، وان هطل المطر فلا يتجاوز معدله البوصة الواحدة الا نادرا ، وهي شديدة الحرارة في النهار ، فقد تصل الحرارة الى نحو خمسين درجة مئوية في الظل ، ذات درجة تبخر عالية ، تهب فيها رياح عاتية على فترات متفاوتة طوال العام .

ولكن الله عز وجل ، الذي ميز الصحاري بالحرارة الشديدة والجفاف ، قد حبا صحراء المملكة العربية السعودية بكميات هائلة من الزيت والغاز والمياه الجوفية .

أما التربة والرمال في الصحراء فتمتاز بالملوحة الشديدة التي تجعل استمرار الحياة النباتية فيها أمرا في غاية الصعوبة .. لذا فاننا نجد لبعض أنواع نباتات الصحراء « خواص آلية — Mechanism » معينة تساعدها على التكيف مع ظروف الصحراء القاسية . ومن هذه الخواص : القدرة على تحمل الحرارة دون أن يلحق بخلاياها ضرر أو عطب ، والقدرة على الاحتفاظ بدرجة حرارة أقل من درجة حرارة الجو ، أو درجة حرارة بقية المخلوقات الكائنة في البيئة ذاتها ، وكذلك القدرة على الصمود تحت وطأة الحرارة العالية ، وعلى اتخاذ خصائص معينة ، كأن تنمو وتنشط في مواسم المطر والاعتدال ، ثم تنكمش وتتحول الى بذرة ، أو تطرأ عليها تغييرات تركيبية « Structural » تقيها من عوامل الحر والجفاف في أشهر الصيف .

الحياة في الصحراء

يؤلف النبات الغذاء الأساسي للحيوان في الصحراء ، لكن عدم الانتظام في هطول الأمطار يؤدي الى انتاج أنواع وأشكال متباينة من الحياة الخضرية تتميز بالبعثرة وعدم الاستمرار . وبينما تتسبب الأمطار الموسمية في نموّ الحشائش والأعشاب في فصل محدد ، نجد الأمطار المتفرقة تحدث نموا متفرقا وغير منتظم .. اذن فالتناقض في الصورة بين الصحراء الحارة من



الضب من أكثر الزحافات انتشارا في صحراء المملكة العربية السعودية ، ويعتمد في غذائه على الجراد والحشرات وبعض نباتات الصحراء .

تمر الصقور بسلسلة من التدريبات قبل استخدامها في اقتناص الطيور وصيد الحباري .

جهة ، والمناطق الاستوائية من جهة أخرى ، أمر ظاهر واضح . ففي مناطق الأمطار الاستوائية ما تكاد الأمطار تهطل والنبات يأخذ النمو والظهور على سطح الأرض حتى تهاجمه أسراب الجراد والديدان والخنافس وقارضات الأوراق والحيوانات الأكبر حجما ، كالجرذان والأغنام والغزلان والظباء والوعول والجمال الى غير ذلك . وتظل الأمور على هذه الحال الى أن يكف المطر عن الهطول ، فتجف التربة ، وترتفع درجة حرارة الجو ثانية ، ويبدأ الاخضرار في الذبول ، وعند ذلك تختفي تلك الأسراب من الحشرات والحيوانات والطيور .

أما في الصحراء فان نوعية الغذاء المتوفر ، تتحكم في نوعية الحيوان الذي يعيش فيها . ويكمن السر في وجود أعداد كبيرة من الجرذان والقنافذ والقوارض الأخرى في الصحراء في أن الغذاء الأساسي لتلك الحيوانات يتألف من الحبوب والبصيلات أو الدرنات النباتية ، بينما يعتمد البعض الآخر من الحيوانات في غذائه على الأجزاء الظاهرة من النباتات المعمّرة أو ذات الدورة الحياتية الدائمة . ومن الطير ما يتغذى على نوع واحد من تلك النباتات الدائمة النمو والظهور .

ان هذا الارتباط الأساسي بين النبات من جهة ، والحيوان والطير من جهة أخرى ، أمر في غاية الأهمية ، كما انه قد يتسبب في حدوث نتائج خطيرة ، أهمها ظاهرة عدم الاستقرار . غير أن حدوث قحط أو جفاف في جزء ما قد يؤدي الى انقراض فصيلة من الحيوان بأكملها ، بالاضافة الى زوال العائلة النباتية التي اعتادت أن تتغذى عليها .

مظاهر التكيف الفيسيولوجي لدى الحيوان

من المعروف أن ظروف الصحراء وعواملها الجغرافية تؤثر في طبيعة التركيب الفسيولوجي للحيوان ، لذلك فاننا نجد الحيوانات الصحراوية ، البرية منها والأليفة ، تتميز عن غيرها من الحيوانات الأخرى بطول الأطراف ودقة الأبدان . بيد أن مشكلة الغذاء وعدم انتظام مصادره ، أديا الى ضرورة الاحتفاظ باحتياطي دائم من الغذاء ، يتمثل في سنام الجمل وأذناب الكبوش التي تتضخم وتكبر في موسم الرعي حتى يبلغ وزن الواحد منها نحو ثمانية كيلوغرامات ، بينما نراها تنكمش وتتلاشى في فصول القحط والجفاف ، وتصبح كالأكياس الفارغة .

والماء يعتبر مشكلة رئيسية في الأجواء الحارة ، فبينما هو عنصر ضروري للأغراض الحيوية ، نجد أن تبخّره ضروري أيضا من أجل الاحتفاظ بدرجة حرارة منخفضة أو أقرب الى البرودة في جسم الحيوان .

اللافقريات

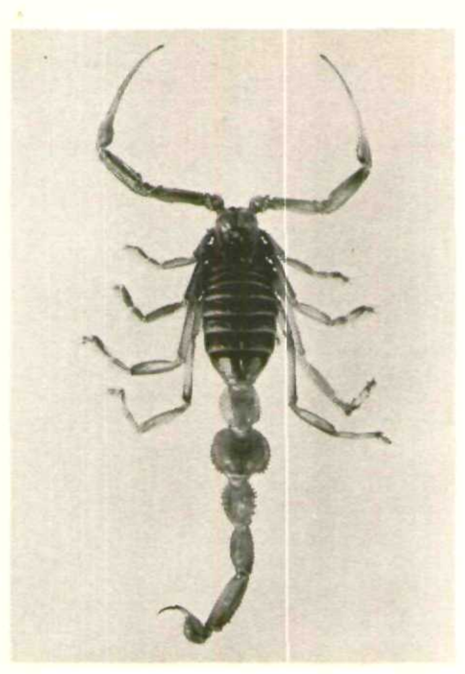
يعتمد التكيف الفسيولوجي عند اللافقريات بالدرجة الأولى على الهروب واجتناب التعرض لدرجات الحرارة الشديدة ، وهي تقصر نشاطها وحركتها على ساعات الظلام الأقل حرارة ، بأن تعيش في معظم الحالات داخل جحور وثقوب تمتد الى عمق عشرات السنتيمترات ، كما هي الحال عند معظم فصائل النمل والحشرات الأخرى . بينما تلجأ العقارب الى الاختفاء في أماكن تحفرها على أعماق متفاوتة ، ثم تغطيها بأوراق الأشجار المتساقطة ، وبذلك تجعل منها ملاجيء أمينة تأوي اليها في أوقات الخطر . أما الجنادب والخنافس فتشذ عن هذه القاعدة في أنها تنشط أثناء النهار ، وفي أشد الأوقات حرارة . وهي مزودة بأطراف طويلة تمكنها من الارتفاع عن الرمال اللاهبة ، كما أن للبعض منها أقداما مزودة بما يشبه الفرشاة تساعدها على السير بسهولة وسط الرمال ، كما هي الحال في العناكب مثلا .

أما الحشرات والمفصليات بوجه عام ، فانها تتجنب البقاء في الرمل حين تقترب حرارته من خمسين درجة مئوية ، وتلجأ الى جحورها أو تتسلق بعض النباتات . واذا ما أخفقت في الحالتين هلكت وماتت بسبب شدة الحرارة على سطح الرمال .

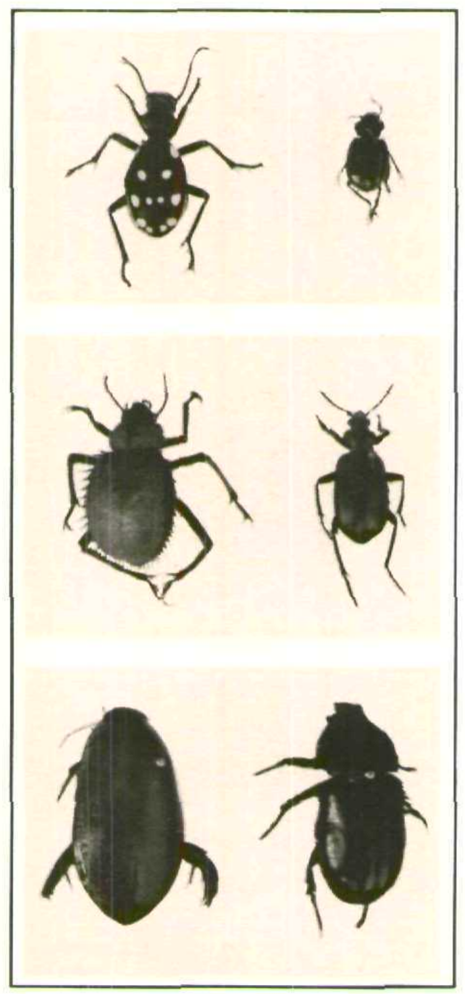
الفقريات

تختلف الفقريات عن اللافقريات في أحجامها ، وهذا أمر بالغ الأهمية بالنسبة لمشكلة فقدان الماء عن طريق افراز العرق ، والتنفس ، والافرازات النيتروجينية الأخرى . ومن ناحية أخرى ، تحتاج الفقريات الى كميات أكبر من الغذاء يندر أن تستطيع الصحراء توفيرها للحيوانات الضخمة كالأسود والفهود وغيرها .

أما البرمائيات فتوفر الماء ضروري لتكاثرها ، لذا فان هنالك أعدادا قليلة جدا وفصائل معينة منها تستطيع معايشة البيئة الصحراوية والتكيف مع ظروفها ، مثل العلاجم والضفادع .



يكثر وجود هذا النوع من العقارب في كل من الصحراء والمناطق المأهولة وهي عقارب سامة الا أنها ليست قاتلة



نماذج متعددة للخنافس لا يزيد حجم البعض منها على رأس الدبوس . ويكثر وجودها في الصحراء .

وأكثر الفقريات تكيفا مع ظروف الصحراء البيئية واستعدادا للعيش فيها هي الزحّافات .. ذلك أن جلودها مكسوّة بطبقة قرنية كثيفة ، كما أن الغدد العرقية الجلدية لديها قليلة جدا ، بحيث تجعل فقدان الماء عن طريق العرق أمرا يكاد لا يذكر . وهي تعتمد في غذائها على الحشائش والأعشاب الصحراوية من جهة ، ثم على الحشرات الصغيرة والنمل الذي يوجد بكثرة تحت الأرض . وللزحافات الآسيوية والأفريقية لون صحراوي تتميز به عن غيرها ، كما أن أذنابها مكسوة بثنيات من الحراشف الكبيرة ، وأجسامها مسطحة . أما رؤوسها فملساء تكسوها حراشف صغيرة ودقيقة . ولمعظم السحالي الصحراوية أطراف أمامية وخلفية طويلة نسبيا ومغطاة بحراشف تستخدمها في تسهيل الحفر في الرمال . ان كان الزحاف من فصيلة « السابحات في الرمال — Sand Swimmers » أي تلك التي تشق طريقها في الرمل أثناء سيرها . وفي تسهيل السير على الرمال ، ان كان الزحاف من فصيلة « الجاريات على الرمال — Sand Runners » .

أضف الى ذلك أن طول الأطراف يساعد الحيوان على رفع جسمه عن الأرض بشكل يقيه حرارة الرمل المحرقة .

الحشرات

معظم الحشرات المنتشرة في صحراء المملكة العربية السعودية من فصيلة اللافقريات ، وهي ممثلة في العقارب والخنافس بأنواعها وأشكالها ، وأكثرها من فصيلة الجعلان « Scarab » ، وكذلك الجراد الذي يتناسل بسرعة كبيرة والقادر على الطيران لمسافة ١٥٠٠ ميل دون توقف .

الزحّافات

وهي من المخلوقات التي استطاعت التكيف مع البيئة الصحراوية ، فاتخذت بذلك اشكالا تركيبية ساعدتها على مقاومة عوامل الحر والجفاف وندرة الغذاء في الصحراء . وأهم هذه الزحافات : السحالي ، والثعابين .

ومن السحالي ما هو صغير الحجم ، كالوزغة التي تتغذى على الحشرات الأصغر حجما ، ومنها ما هو ضخم ، كالضب والورل . ومن أكثر السحالي انتشارا في الصحراء الشرقية للمملكة العربية السعودية « السعودة — Acanthodactylus » وتمتاز بسرعة حركتها التي تشبه حركة

المجذاف ، وهي مغطاة بقشور وحراشف دقيقة . وهنالك « الطحيحي » ، وهو زحاف له رأس يشبه شكل الضفدعة ، ويمتاز بالقدرة على الاختفاء في باطن الرمال اذا ما أحس بالخطر ، وهو يعرف علميا باسم « Threnocephalus Nejdensis » نسبة الى نجـد حيث توجد منه أعداد كبيرة .

أما « الضب » و « الورل » فهما عـدوان لدودان ، وقد يصل طول الأول أحيانا الى ثلاثة أقدام ، ويتميز بذنبه ذي الأشواك الكثيرة والعقد ، وبأسنانه الحادة ، وهو يتغذى على الجراد والحشرات والنباتات الصحراوية . وتضع أنثى الضب ما بين ٥٠ و ٦٠ بيضة لا تفقس كلها . أما « الورل » فمظهره مخيف ويمتاز بلونه القريب من لون الرمل ، وله ذيل طويل أملس دقيق ، ينتهي بحلقات سود ، ويزيد طوله على ثلاثة أقدام ونصف القدم ، ولسانه يشبه لسان الأفعى ، وله فحيح كالكوبرا ينفثه اذا أحس بخطر يداهمه أو عدو يدنو منه ، واذا ما اشتبك مع الضب في معركة كان هو الفائز في أغلب الأحيان . وعضته مؤلمة رغم انها ليست سامة ، وهو يتغذى على الحشرات والجراد والنباتات ، وحتى الأفاعي الصغيرة . ومن طريف ما يذكر عن « الضب » و « الورل » انه اذا ما التقى أحدهما بأسراب الجراد أخذه الطرب ونسي كل ما حوله وفقد احساسه بالخطر ، وصار يلاحق الجراد محاولا التقاطه من الهواء .

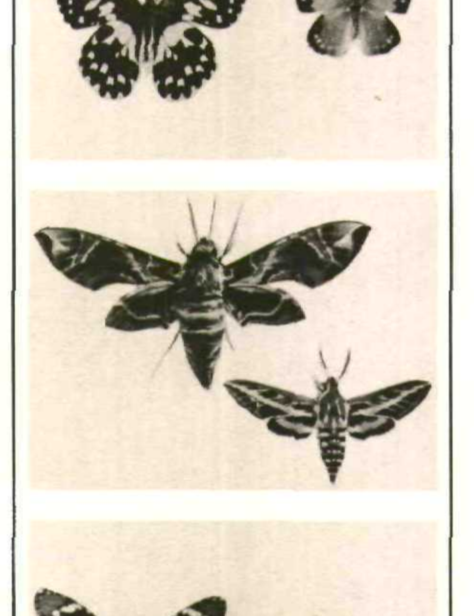
والدموسة « Dammusah » من نوع الزواحف ، تمتاز بالقدرة على العيش تحت الرمال معظم حياتها . وهناك أيضا « النادوس » الذي يشبه الأفعى ، ولا يحتمل أشعة الشمس المحرقة ولا السير على الأراضي القاسية أو الرمال الخشنة . وفي الصحراء الشمالية الشرقية من المملكة يكثر الخسوي « Khaswi » ، وهو زحاف لا يتجاوز طوله سبع بوصات ، وذو لون رمادي فاتح وجلد ناعم أملس . ويحرك ذنبه الطويل الدقيق يمنة ويسرة أثناء قفزه من شجيرة الى أخرى ويعرف في بعض الأماكن باسم « السليمانية » .

الأفـاعي

معظم الأفاعي الموجودة في الصحراء الشرقية من المملكة العربية السعودية وشمالها ليست شديدة السم ، كأفاعي البحر « Hydrophis » ذات اللون الرمادي والجلد المرقط . وهذه الأخيرة ، على كونها سامة ، الا أنها لا تؤذي السابحين



تشارك المملكة العربية السعودية في الجهود الدولية التي تبذل في مكافحة الجراد الذي تبدو نماذج منه في هذه الصورة .



عينات من الفراش والعث جمعت من الصحراء الشرقية بالمملكة ، وهي متعددة الألوان والأشكال .

ولا تعتدي عليهم . وهنالك نوع من الأفاعي السامة يعرف باسم « اليايم – Yaym » ، وهو ينتمي الى فصيلة الكوبرا ، ولونه أسود ، الا أنه يندر وجوده في صحاري المملكة العربية السعودية . ومن فصيلة الكوبرا أنواع أخرى تشبه الى حد كبير الكوبرا الهندية ذات اللون الأصفر القريب من لون الرمل ، ويكسو ظهرها الحراشف . وللواحدة منها عينان صفراوان تتوسطهما نقاط غامقة اللون ، ويبلغ طول الواحدة منها أربعة أقدام أو يزيد . وهنالك الأفعى القرناء « Cerastes Cornutus » ، وهي صغيرة الحجم ، عريضة الجسم ، مبتورة الذنب ، يعلو عيون بعضها ما يشبه القرنين ، وتتحرك وسط الرمال بطريقة تشبه حركة سرطان الماء ، أي على شكل « S » .

كما يوجد ثمة نوع من الأفاعي ذات الحراشف المنشارية يعرف باسم « Saw Scaled Viper » ويبلغ طول الواحدة منه ثلاثين بوصة ، ولونه يشبه لون الرمال ، ويتوسط ظهره بقع داكنة بها علامات أقرب الى اللون الأزرق ، وعلى رأسه علامة غامقة مميزة ، وعند جانبي الرأس نتوآن يبلغ حجم الواحد منهما حجم حبة البندق ، وهما غدتا نفث السم ، وعلى جسمه حراشف حادة كأسنان المنشار . وهنالك أيضا أنواع أخرى ، كالأفعى المقنعة قليلة السموم ، والأفعى السوطية ، وتكثر في الصحراء الشرقية ، وأفعى البواء التي تلجأ الى الحيلة والمراوغة للحصول على غذائها من الحشرات والطيور .

الحيوانات اللبونة

للحجم تأثير كبير في الحيوانات اللبونـة – « Mammals » ، اذ تتأثر بـه عملية فقدان الماء عن طريق الافرازات الجلدية والبولية . بيد أن بعض اللبونات القارضة ، كالجرذان واليرابيع ، تستطيع تحمل العطش لفترة طويلة من الزمن ، ذلك أنها تتجنب التعرض للحر الشديد ببقائها داخل جحورها أثناء النهار ، ثم ان أجسامها تخلو من الغدد العرقية ، كما أن نسبة تبخر الماء مع هواء الزفير لديها منخفضة جدا . أما اللبونات الكبيرة ، كالجمال والحمير وغيرها ، فانهـا لا تستطيع الهرب من الحر بالاختفاء في جحور تحت سطح الأرض ، ولذا فهي تعوّض عن الكميات الكبيرة المفقودة من الماء بمقدرتها على ابتلاع كميات كبيرة منه ، عند توفره ، وخزنه في خلاياها ، أو افراز سائل شبيه بالماء فـي أجسامها .

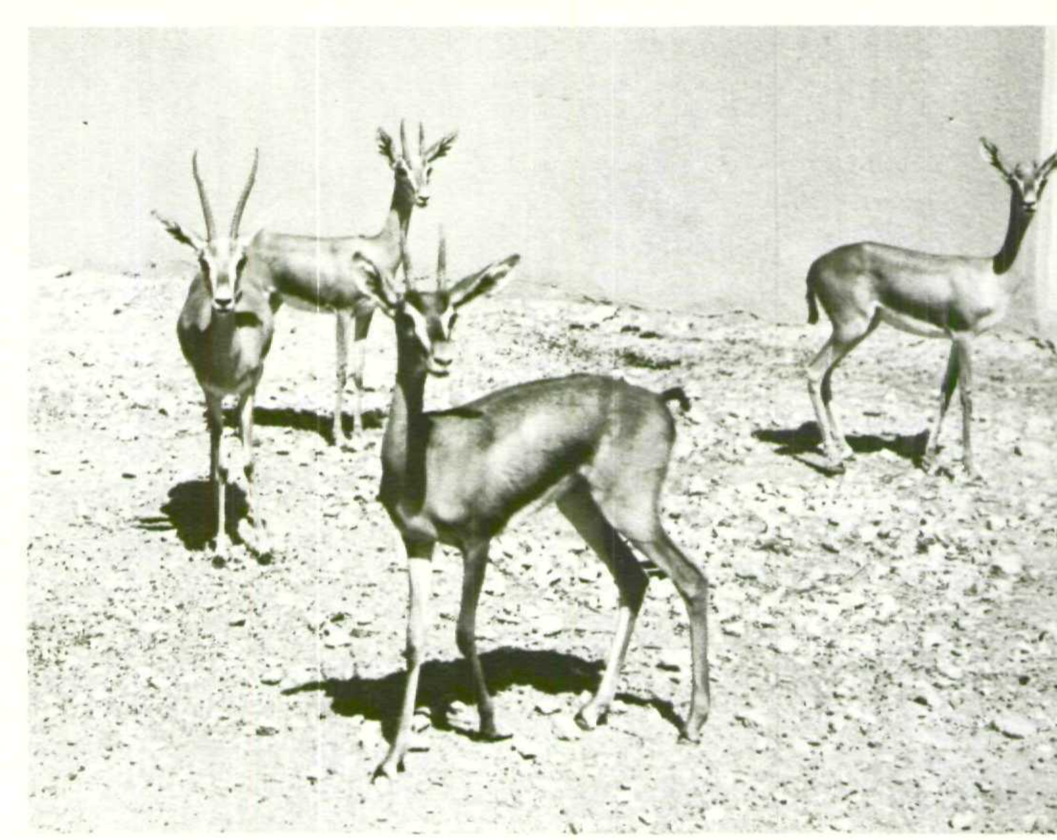
فالجمل – مثلا – يستطيع الاكتفاء بالغذاء الجاف فترة قد تزيد على أسبوعين ، ويمكنه تحمّل فقدان ٣٠ في المائة من وزن جسمه دون أن يتعرض لأية مضاعفات شديدة ، أضف الى ذلك أن كمية الماء التي يفقدها الجمل أثناء عملية « التبوّل » قليلة نسبيا ، كما أن العملية ذاتها بطيئة متباعدة الفترات . وفي فصل الشتاء يستطيع الجمل الاستغناء عن الماء فترة قد تمتد الى أشهر عديدة ، نظرا لانخفاض درجة الحرارة وتوفر الكلأ والمراعي الخضر .

أما الحيوانات الأصغر حجما ، كالأغنام والغزلان ، فان لديها المقدرة الكافية على تحمل ظروف البيئة الصحراوية ، كمقاومتها للحرارة عن طريق بطء عملية التنفس ، والاقتصاد في استهلاك الماء ، بيد أن أقل هذه الحيوانات احتمالا للعطش هي الكلاب ، لسرعة تنفسها ، وسرعة نقصان كمية الماء من أجسامها نتيجة افرازها العرق .

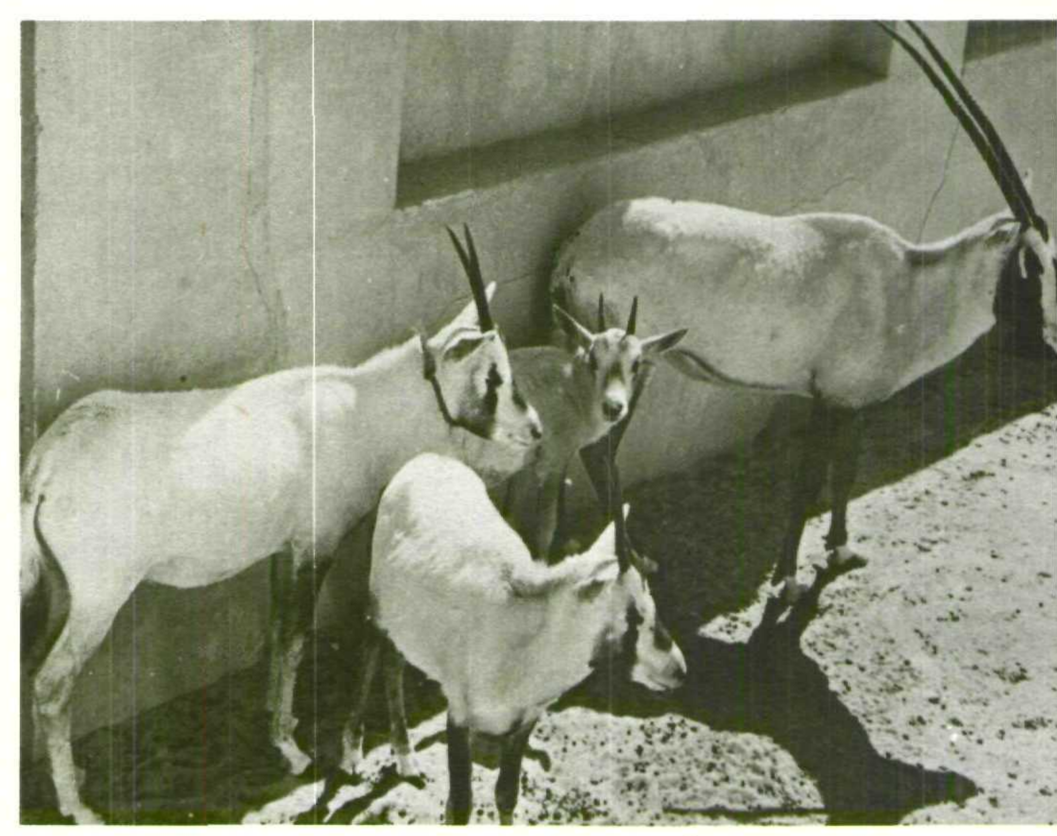
ومعظم اللبونات التي استطاعت التكيف مع ظروف البيئة الصحراوية تختفي أثناء النهار وتخرج أثناء الليل . ويشذ عن هذه القاعدة « الفأر الشوكي الذهبي – Accomystrussatus » الذي يرى بكثرة في أشد ساعات النهار حرا . ومعظم الحيوانات الصغيرة تعيش في جحور تحت الأرض تقوم بحفرها ، وتظل على مقربة منها بشكل دائم ، كالقوارض الصغيرة والقنافذ « Hedgehog » التي تساعدها جلودها الشوكية وطريقة انكماشها على اتقاء الأخطار المحيقة بها .

ومن اللبونات الظربان « آكل العسل » ، أو « الراتل » ، الذي يمتاز بلونيه الأسود والأبيض ، وجلده قوي وعضته مؤلمة ، وله غدد تفرز رائحة كريهة ينفر بها خصومه وأعداءه .

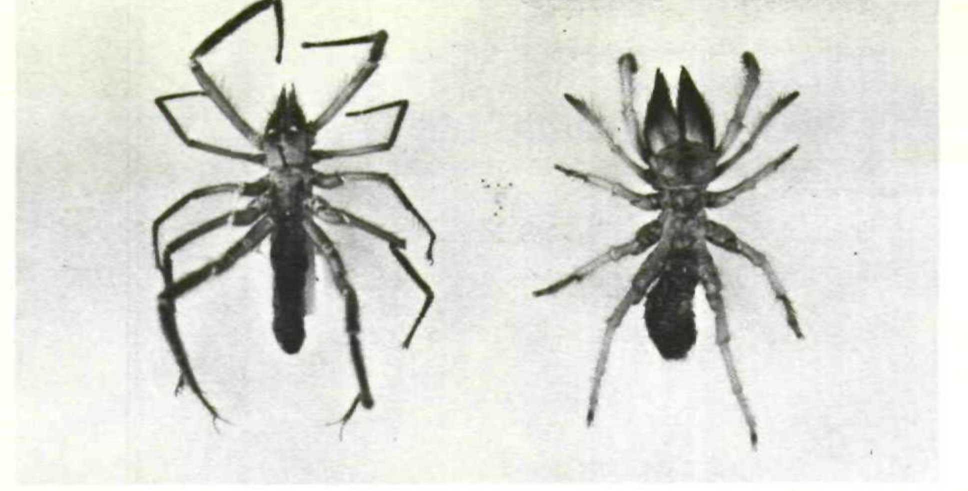
أما « اليربوع – Jerboa » فيختلف عنها بطول أطرافه الخلفية التي تساعده على القفز السريع المتتابع . ومن أنواع فصيلة اليربوع نوع له خمس أصابع في القدم الواحدة ويدعى « Allactaga Euphratica » ، وآخر له ثلاث أصابع فقط ويدعى « Jaculus » . وهذا النوع الأخير من أكثر اللبونات تأقلما وتكيفا مع ظروف الصحراء . ويمتاز بالقدرة على السير بثبات وسط الرمال بسبب وجود الشعر الخشن على أصابعه الثلاث ، وهو بذلك يشبه قطة الرمال « Felix Margarita » التي تكثر في صحاري المملكة العربية السعودية والتي تحتمل أشد الظروف البيئية وأقساها .



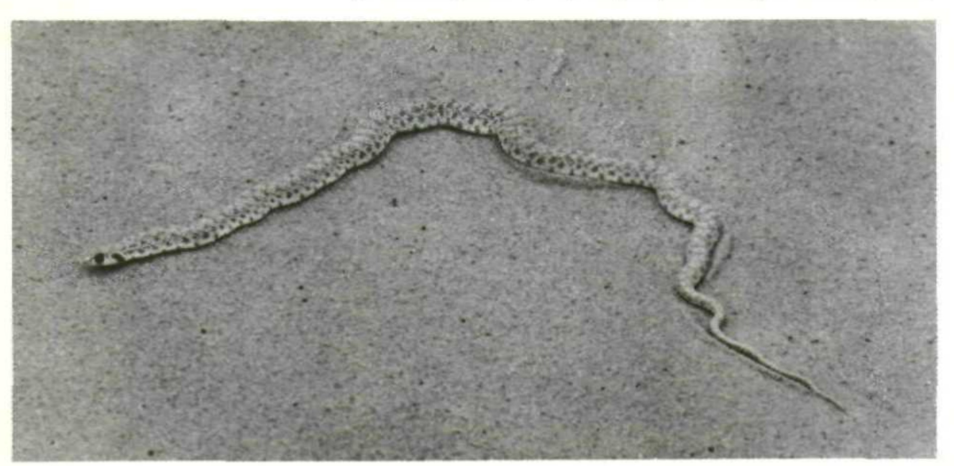
الغزال .. من أجمل حيوانات الصحراء في المملكة العربية السعودية .. ولقد حددت الحكومة مواسم صيده حفاظا عليه من الانقراض .



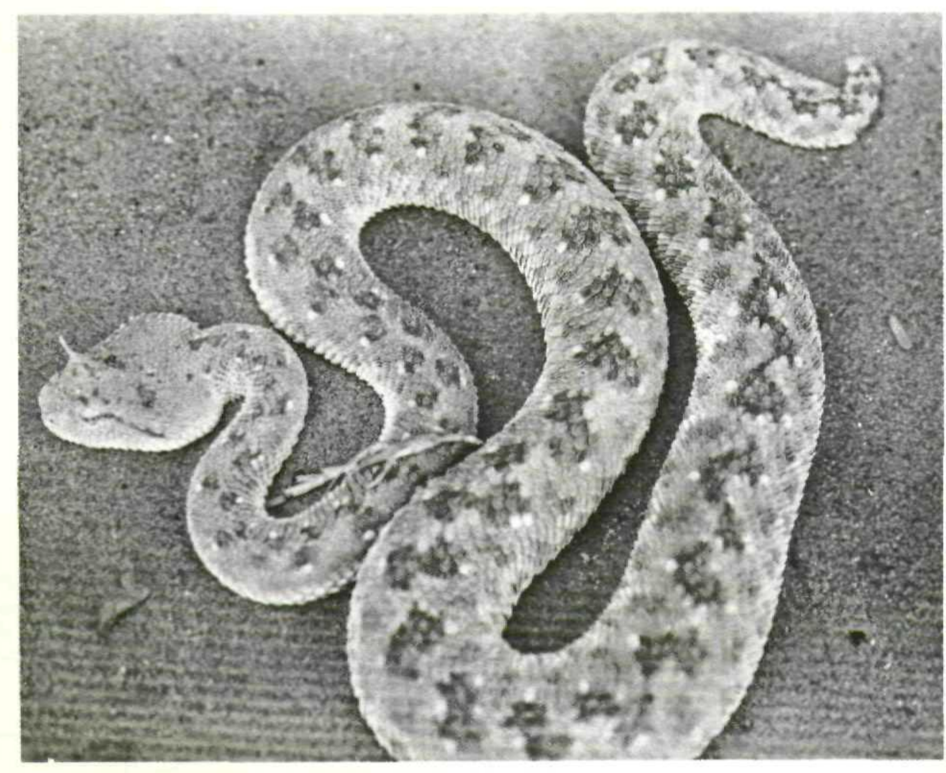
البقر الوحشي أو « الوضيحي » وهو من حيوانات صحراء النفود وجنوبي الجزيرة العربية وبعض أنحاء الربع الخالي .



بعض أنواع العناكب الموجودة في الصحراء الشرقية بالمملكة العربية السعودية وتعرف باسم « عناكب الشمس » « Sun Spider » أو « عناكب الجمال » « Camel Spider »



أفعى عادية غير سامة ، عثر عليها في صحراء الربع الخالي .



« القرناء » أو أفعى الرمال ذات الحراشف المتعددة ، وهي من أخطر أنواع الأفاعي وأكثرها سموما .. ويبدو نتوءان شبيهان بالقرنين فوق عينيها .

ومعظم اللبونات الصغيرة الحجم تعيش في جماعات متجانسة اتقاء للمخاطر ، وتمتاز بحدة سمعها ، لذا يلاحظ فيها كبر الأذنين بشكل غير اعتيادي ، ومنها : الثعلب الأفريقي « Fennec Fox » ، والأرنب العربي « Arabian hare » ، وجرذان الرمل ، التي يكاد صيوان الأذن يؤلف الجزء الخلفي من رأسها بأكمله . وفي اليربوع تقوم خصلة الشعر الأبيض والأسود في مؤخرة الذنب بمثابة جهاز الانذار عندما تلوح في الأفق علائم الخطر ، وتظهر هذه الخصلة بوضوح عندما يقفز من مكان الى آخر .

ويعمد بعض القوارض الى وضع التراب في مدخل جحوره ، للاحتفاظ بدرجة حرارة منخفضة داخلها أثناء النهار ، بينما يلجأ البعض الآخر الى الكهوف والشقوق الصخرية لاتقاء الحر ، كابن آوى ، والوبر « Hyrax » .

أما أنواع الظباء المعروفة في صحاري هذه البلاد فيمكن تصنيفها في ثلاث فئات :

○ « الريم » أو « الغزال الأبيض » ، وهو أكبرها حجما وأجملها شكلا وأطيبها لحما ، وتضرب به الأمثال وتقال فيه الأشعار ، لونه رملي ضارب الى الحمرة ، أبيض القوائم والوجه والبطن ، بحيث يبدو وكأنه كله أبيض اللون عن بعد . وقد كان هذا النوع من الظباء يجوب الصحاري العربية بأعداد هائلة قبل أن يصبح مطلبا للصيادين ، فانخفضت أعداده بشكل ملحوظ ، مما دعا حكومة المملكة العربية السعودية الى سن قوانين صارمة تحرم صيده . والريم يتغذى على الحشائش والشجيرات الصحراوية ، ويستخلص الماء منها حين يعزّ الماء . ومن الغزلان أنواع تلجأ الى ماء البحر الملح ، تطفيء به ظمأها حين يستبد بها العطش ، كالغزال العربي « Gazella Arabica » .

○ « العدمي » ، وهو أصغر حجما من الريم ، وذو لون بني ، وأقل بياضا من سابقه .

○ « العفري » ، وهو أصغر الأنواع الثلاثة حجما .

أما من حيث طول القرون فجميع الأنواع الثلاثة تتساوى في هذا الأمر .

ويوجد البقر الوحشي « Oryx » المسمى بـ « الوضيحي » في بعض أجزاء الربع الخالي . ومما يعرف عنه انه يقطع مسافات شاسعة قد تصل المائة كيلومتر في نحو ثماني عشرة ساعة دون توقف . كما انه يكتفي بالقليل النزر من الرطوبة المائية الموجودة في بعض النباتات الصحراوية ،



الريم من فصيلة الغزلان التي تغنى الشعراء بجمالها وتمتاز بطيب لحمها وتلون قوائمها وبياض بطنها .

ويتغذى على ثمار يقطين الحنظل الصحراوي . ويتراوح وزن الواحدة من البقر الوحشي بين ٩٠ و ١١٠ كيلوغرامات . أما طول قرنه فقد يزيد على القدمين في بعض الحالات .

ويكثر وجود الوعل « Ibex » ، في جبال المنطقة الغربية وجبل شمّر ، كما تكثر في تلك الأجزاء الذئاب والكلاب والقطط البرية والضباع والثعالب وابن آوى . بينما تكثر في الأجزاء الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية بعض فصائل القردة ، مثل « الربّاح » أو « السعدان » ، وهي تتواجد على هيئة جماعات تجوب الجبال وتتسلق الأشجار . أما النمور والفهود فأعدادها قليلة جدا .

الطيور

أقل المخلوقات احتمالا للحر والمناخ الصحراوي هي الطيور ، اذ أن توزيعها يعتمد على وجود المياه السطحية ، فكلما قل الماء على سطح الأرض قل وجودها . لذا فان أنواعها وأعدادها أقل بكثير من الزحافات ، نظرا لكون الماء عنصرا أساسيا في حياتها . وأقل الطيور حاجة للماء تتزود به مرة كل يوم على الأقل ، ومن الطيور ما يستطيع تحمل فقدان ما يعادل ١٥ في المائة من وزنها من الماء ، والبعض الآخر يستطيع تحمل نسبة أعلى قد تصل الى ٢٤ في المائة في بعض الأحيان .

ولم تعد النعامة طائرا مألوفا في الجريزة العربية ، كما عهدها الناس قبل عقدين أو ثلاثة من الزمن . ولقد كان الصيادون يبحثون عنها سعيا وراء ريشها بشكل خاص ، ومن المحتمل أن يكون هذا الطائر قد انقرض في الأربعينات من القرن الحالي ، وآخر نعامة اصطيدت كانت على مقربة من الحدود الشمالية الشرقية من المملكة العربية السعودية المحاذية للعراق عام ١٩٣٨م وقد بلغ وزنها آنذاك ١٣٥ كيلوغراما ، ومدى اتساع خطوتها نحو ثلاثة أمتار أثناء جريها . وما تزال قشور بيض النعام تشاهد حتى أيامنا هذه في أماكن متفرقة من الصحراء .

والطيور بشكل عام مخلوقات نهارية ، يقتصر معظم نشاطها على الساعات الأولى من الصباح والمساء ، فتتجنب بذلك ساعات الحر الشديد وقت الظهيرة ، وتلجأ في القيلولة الى أعشاشها أو الى الشقوق الصخرية أو الى الشجيرات الصحراوية لتستظل بظلالها . وتعاني الطيور صعوبات بالغة نتيجة للحرارة العالية . فالمعروف أن درجة الحرارة التي يمكن أن يحتملها الطائر تتراوح بين ٤٠ و ٤٢ مئوية ، واذا ما تعدت ذلك ووصلت الى ٤٥ أو ٤٧ مئوية فان الطيور سرعان ما تضعف وتموت .

وليس للطائر غدد لافراز العرق ، لذا فهي تعتمد على التبخر مع التنفس للتخفيف من شدة الحرارة ووطأتها . ويعتمد بعض الطيور الصحراوية على عنصر الماء الموجود في غذائها ، حينما تنعدم مصادر المياه العادية ، بينما يسارع البعض الآخر ، حينما تشتد وطأة الحر وينعدم الماء ويقل الغذاء ، الى الرحيل الى أماكن أخرى أكثر ملاءمة وأوفر قوتا .

ومن الطيور التي تتواجد في المملكة العربية السعودية ما هو مهاجر ، ومنها ما هو مقيم . فالمهاجر يأتي الى المناطق الساحلية بحثا عن الدفء والمناخ المعتدل خصوصا في الأوقات التي يشتد فيها البرد في الشمال ، كالحباري الصغيرة والزقزاق « Plover » ، والكروان « Charadrius Oedicnemus » ، واليؤيؤ « Merlin » ، والعقاب « Eagle » وصقر الجراد ، والعويسق « Kestrel » ، وحمام البر « Persian Dove » . وبعض الطيور الأخرى تنحدر من فصيلة البط ، كالحذف ، أو البط النهري « Teal » . غير أن بعض هذه الطيور قد يرغب في البقاء في مكان ما ، فيبيض ويستقر فيه وربما يمضي فيه بعضا من أشهر الصيف قبل أن يعود الى موطنه الأصلي أو يكمل رحلته الى الأماكن الأخرى .

أما الطيور المقيمة أو التي تشاهد خلال فصول العام كلها تقريبا ، فتشمل النسور « Vultures » والصقور « Falcons » بأنواعها ، كالشواهين ، وصقر الغزال ، والصقر الحر . والصقور كما هو معروف تستخدم في صيد الحباري « Bustard » ، والبط البرّي ، والقطا « Sand Grouse » بعد تدريبها تدريبا شاقا على اداء هذه المهمة . ومن الطيور المعروفة في صحراء المملكة العربية السعودية أيضا البوم ، والغراب ، والسمّن ، والوزّ ، والعصافير ، والهدهد ، والبلبل ، والسنونو ، والوقواق ، والذعرة « Wagtail » .

أما على السواحل والشطآن فتكثر الغرانيق « Flamingo » ، وابن الماء ، أو البلشون الأبيض « Egret » ، والبجع « Pelican » ، والنورس « Sea Gull » . وغير ذلك من الطيور البحرية ■ نسيم يمانا

تصوير : علي محمد خليفة ، وجيمس مندافيل « الابن »



أسراب من طيور « الخرشفة » ، وهي طيور تشبه « النورس » ويكثر وجودها في جزيرة « جنا » المحاذية للساحل الشرقي من المملكة العربية السعودية.



الوعل .. من الحيوانات العديدة التي تعيش في صحراء المملكة العربية السعودية.

تصوير: نبيه أمين



بقايا أثرية تعكس مكانة «مجدل عنجر» التاريخية في لبنان. (راجع مقال «مجدل عنجر»)

تصوير: خليل ابو النصر